IUGJEPS
Vol 29, No 3, 2021, pp 210 -235

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (16-08-2020)، تاريخ قبول النشر (20-10-2020)

المقامة المضيرية لبديع الزمان الهمذاني: قراءة حجاجية تداولية

اسم الباحث: د. عمر ذياب أبو هنية

اسم الجامعة والبلد: وزارة التربية والتعليم الأردنية، عمان، الأردن

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: omarah12@gmail.com

https://doi.org/10.33976/IUGJHR.29.3/2021/10

الملخص:

تنهض هذه الدراسة بمهمة الكشف عن آليات النظر الحجاجي في المقامة المضيرية، لبديع الزمان الهمذاني، ومدى استثماره لها في بناء نص سردي تخييلي، يكفل به التأثير على المتلقي من خلال قوة الطاقة الإقناعية الكامنة في أصل اللغة، وذلك في بناء حكائي بديع ومتقن. وقد وظف الهمذاني في مقامته كل عناصر الحكاية: من سرد، وحوار، وحدث، ورسم لأبعاد الشخصيات؛ كي يصل إلى هدفه المنشود. لقد عمل الهمذاني على بناء أقوال تتناسب مع بنية الحدث وطبيعة الشخصيات التي ابتدعها، وذلك من خلال أفعال الكلام، وتوظيف الروابط والعوامل الحجاجية، التي تعينه على انجاز سلسلة من الأقوال والأفعال، التي تسهم في تطور الحدث وسيره نحو العقدة والتأزم، وصولًا إلى الانفراج والحل. تسعى هذه الدراسة إلى تحليل البنى النصية الفاعلة في بنية المقامة، وتسليط الضوء على دورها داخل عملية التواصل، ومدى ارتباطها بالمتحدث، والمقام، والزمن المؤطر لها.

كلمات مفتاحية: حجاج، مقامة، مضيرية، بديع الزمان، الهمذاني.

Al Madieriah Maqamah for Badi Al-Zaman Al-Hamzani: Argumentative Deliberative Reading

Abstract:

This study undertakes the task of uncovering the mechanisms of looking at the arguments of the Madieriah Maqamah, by Badi Al-Zaman Al-Hamzani, and the extent of its investment in constructing an imaginary narrative text, in which the effect on the recipient is guaranteed by the power of persuasive energy inherent in the origin of the language, which in building a wonderful and elaborate storytelling. Al-Hamdhani employed all elements of the story in his maqam: from narration, dialogue, event, and drawing to the dimensions of the characters; In order to reach his desired goal. Al-Hamdhani worked on building statements that fit with the structure of the event and the nature of the characters he created, which through speech actions, and employing links and argumented factors, which help him to accomplish a series of sayings and actions, which contribute to the development of the event and its steps towards knot and stalemate, reaching a breakthrough and a solution. This study seeks to analyze textual structures in the structure of the maqamah, and focus on its role in the communication process, its relevance to the speaker, the place, and time frame for it.

Keywords: Argumentation, Maqamah, Madieriah, Badi Al-zaman, Al-Hamdhani.

❖ **المقدمة**

ظلت الأعمال الأدبية الخالدة محط أنظار الأدباء والنقاد، فكان الفريق الأول ينظر إليها بعين الإعجاب، فينسج على منوالها تارة، ويضمنها أعماله الأدبية تارة أخرى، وأما الفريق الثاني فقد تناولتها أقلامهم بالدرس والتحليل؛ وذلك بغية الكشف عن سبب خلودها وإعجاب المتلقين ببنائها. إن كل تجربة نقدية تحاول الكشف عن قوة أي نص أدبي تعد خطوةً صحيحة للوصول إلى الحقيقة، والقراءات النقدية الجادة تكون نصًا آخر يكتب على العمل الأصلي. "إن الرؤية النقدية للنص تتضمن في ثناياها رؤية للإنسان والعالم"[1].

وسيعرض الباحث في هذه الدراسة للمقامة المضيرية، لبديع الزمان الهمذاني، فنسلط الضوء على بنية هذه المقامة من وجهة نظر حجاجية تداولية؛ وذلك بغية الكشف عن هذا العمل الأدبي الأصيل، وآليات الإقناع المتضمنة في البنية الأساسية للغة، ذلك أن اللغة ببنيتها العميقة تكشف عن قوة هذا العمل الأدبي، وإن كانت المقامات قد وصفت بأنها: "أوضح الأنواع وأكثرها تحديدًا وتميزًا بين كافة أنواع الكتابة النثرية العربية في العصر الوسيط"[2]. وقد اشتملت بنية المقامات على مختلف الفنون الأدبية في ذلك العصر، فهي "نوع يستوعب مختلف فنون القول والكتابة، حيث تجد فيها الشعر والرجز، والألغاز والأحاجي، والأمثال والنوادر، والوصف والمدح، والجد والهزل، والملح والطرائف، والرسائل والخطب، والمواعظ والأضاحيك...، كما لو كانت خطابًا جامعًا لمختلف فنون القول والكتابة المتداولة في الأدب العربي"[3].

لقد كان الهمذاني من أوائل الأدباء الذين كتبوا في هذا الفن، وقد بنى مقامته قصد الإقناع والتأثير على المتلقي، وذلك في الراوي، والبطل، والشخوص، والحدث الوارد في المقامة. إن للعمل الأدبي قطبين "القطب الفني والقطب الجمالي، الأول هو نص المؤلف، والثاني هو التحقق الذي يُنجزُه القارئ. وفي ضوء هذا التقاطب يتضح أن العمل ذاته لا يمكن أن يكون مطابقا لا للنص ولا لتحققه، بل لا بد أن يكون واقعا في مكان ما بينهما"[4].

إن أبرز المواضيع التي تهتم بها التداولية هي: دراسة القيمة الفعلية للأقوال والعبارات (أي نظرية الأفعال الكلامية)، والتعرّف على مقاصد المتكلمين من خلال الانطلاق من البنى القولية وقيمها الفعلية، وتسلط الضوء على أثر السياقات والمقامات التواصلية في إنتاج العبارات وتأويلها، كما تدرس العمليات الاستدلالية التي يقوم بها المتخاطبون، وتتعرف على مجرى التحاورات في ظل مبدأ التخاطب [5].

وقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج التحليلي؛ للوصول إلى نتائج علمية تكشف عن أهمية هذا العمل الأدبي وأصالته، وذلك في ظل وجود فريقين يتنازعان في تراثنا العربي، أحدهما يدعو إلى قطع علاقتنا بذلك التراث والالتحاق بالحداثة، وآخر يرى الإبقاء على الجانب الفلسفي؛ لأنه سبيلنا للحداثة[6]، ولا ينظرون إلى ذلك التراث على أنه حقيقة خالصة يمكن لنا أن نطبق عليها المناهج النقدية الحديثة كاشفين عن أصالتها وارتباطنا بها؛ لأنها ساهمت في تكوين وعينا النقدي والثقافي، وكي نزيد في باب الدرس اللساني بابًا آخر يكون مرجعًا للمتعلمين والباحثين ارتأيت أن أدرس هذه المقامة وفق المنهج الحجاجي التداولي، وقد أفدت من عدة دراسات تناولت مقامات الهمذاني بالدرس والتحليل كالبحث الموسوم بـ"وعي النقد ونقد الوعي في المقامة الموصلية: قراءة تداولية ثقافية" للباحث جمال مقابلة، ورسالة الماجيستير الموسومة بـ"المبهمات والضمنيات في مقامات الهمذاني:

(1) ماضي، من اشكاليات النقد العربي الجديد(ص19).

(2) دوجلاس، ابناء النص التراثي(ص95).

(3) كاظم، المقامات والتلقي بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث (ص77).

(4) آيزر، فولفغانغ، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب (ص12).

(5) أنظر: طلحة، التداولية وتحليل الخطاب: نحو تحليل جديد لجني المقامة في الأدب العربي(ص208).

(6) انظر: عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام (ص20).

دراسة تداولية" للباحثة منيرة هبيتة. وقبل الشروع في تحليل بنية المقامة أقف على شيء من خبر هذا الأديب العربي الجليل في كتب التراث التي تَرجمت له، ثم أعرّف الحجاج، ثم أمضي إلى بنية المقامة.

❖ **بديع الزمان الهمذاني: اسمه ونسبه ومكانته العلمية**

هو أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني، وكنيته أبو الفضل، والمشهور ببديع الزمان [7]، ولد في همذان "في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة"[8]، وقد اتفق من ترجم له على تاريخ وفاته سنة ثَمَان وَتِسْعين وثلاثمائة [9]. وتتلمذ على أيد مجموعة من العلماء أخذ عنهم الأخبار، فـ"روى عن أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا وعيسى بن هشام الأخباري"[10].

وقد غادر همذان إلى هراة سنة "ثَمَانِينَ وثلاثمائة وَهُوَ مقتبل الشبيبة غض الحداثة"[11]، ودخل نيسابور سنة "اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ وثلاثمائة وَنشر مَا بزه وَأَظْهر طرزه وأملى أَرْبَعمِائَة مقامة نحلهَا أَبَا الْفَتْح الإسكندريّ فِي الكدية وَغَيرهَا وضمنها مَا تشْتَهي الْأَنْفس وتلذ الْأَعْين من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام وسجع رشق المطلع والمقطع كسجع الْحمام"[12]، وقد وقعت مساجلة بينه وبين أبي بكر الخوارزمي، وكانت الغلبة لبديع الزمان فطار ذكره في الآفاق.

وقد عاصره أبو منصور الثعالبي صاحب اليتيمة، وقال عنه: "معجزة همذان ونادرة الْفلك وَبكر عُطَارِد وفرد الدَّهْر وغرة الْعَصْر وَمن لم يلق نَظِيره فِي ذكاء القريحة وَسُرْعَة الخاطر وَشرف الطَّبْع وصفاء الذِّهْن وَقُوَّة النَّفس وَمن لم يدْرك قرينه فِي ظرف النثر وملحه وغرر النَّظم ونكته وَلم ير وَلم يرو أَن أحدًا أبلغ مبلغه من لب الْأَدَب... وَكَانَ يقترح عَلَيْهِ عمل قصيدة أَو إنْشَاء رِسَالَة فِي معنى بديع وَبَاب غَرِيب فيفرغ مِنْهَا فِي الْوَقْت والساعة وَالْجَوَاب عَنْهَا فِيهَا"[13].

❖ **مفهوم الحجاج:**

أ. لغة:

في لسان العرب "حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ، وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نَازَعَهُ الحُجَّةَ. وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه، والتَّحاجُّ: التَّخاصُم، وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ"[14]. وفي مختار الصحاح أن "(الْحُجَّةُ) الْبُرْهَانُ وَ (حَاجَّهُ فَحَجَّهُ) مِنْ بَابِ رَدَّ أَيْ غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ. وَفِي الْمَثَلِ لَجَّ فَحَجَّ فَهُوَ رَجُلٌ (مِحْجَاجٌ) بِالْكَسْرِ أَيْ جَدِلٌ"[15]. "فالحِجَاج النزاع والخصام بواسطة الأدلة والبراهين والحجج فيكون مرادفاً للجدل"[16].

ب. اصطلاحاً:

ثمة عدة تعريفات للحجاج من الناحية الاصطلاحية، وذلك حسب ما يراه كل ناقد وأعرض إلى بعضها مرجحًا ما أراه أكثر دقة وموضوعية من الناحية العلمية، يعرف الحجاج "خطاب صريح وضمني، يستهدف الإقناع والإفهام معاً، مهما كان متلقي هذا

(7) الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (ج295/4). القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب (ج305/1). الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (ج115/1–116). الحموي، معجم الأدباء (ج234/1).

(8) الحموي، معجم الأدباء (ج234/1).

(9) الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (ج295/4). الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (ج115/1).

(10) الحموي، الحموي، معجم الأدباء (ج234/1).

(11) الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (ج294/4).

(12) المصدر نفسه(ج294/4).

(13) الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (ص294).

(14) ابن منظور، لسان العرب (ص228).

(15) الرازي، مختار الصحاح(ص66).

(16) صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية (ج1/ ص14).

الخطاب ومهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك"[17]. ويعرف أيضا بأنه: "بعد جوهري في اللغة ذاتها، مما ينتج عن ذلك أنه حيثما وجد خطاب العقل واللغة فإن ثمة استراتيجية هي الحجاج ذاته، وهي تستمد خصوصيتها وقيمتها من الحقل الذي تتحقق فيه ويعطيها الشرعية، وقد يكون هذا الحقل هو الحياة اليومية للناس وقيمهم، أو يكون هو الفكر والتفكير من أبسطها إلى أكثرها تعقداً وتجريداً"[18]، وقيل "الحجة ما دلّ به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد"[19]. وعرف أيضًا على أنه: "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[20]، والحجاج "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[21].

قد اشتملت التعريفات السابقة على أبعاد متعددة في تعريف الحجاج، وقد تقاطعت في بعض النقاط وتفردت في نقاط أخرى إلا أنني أرجح ما ذهب إليه عبد الله صولة في تعريفه؛ لأنه هو الأنسب للنص القائم بين يدي للدرس والتحليل، دون اغفال لأهمية التعريفات الأخرى والإفادة منها في هذا الدرس.

ج. الحجاج في القرآن الكريم:

وردت لفظة الحجاج بعدة صيغ في القرآن الكريم، وفيما يأتي عرض لبعض الآيات التي وردت بها لفظة الحجاج وما تدل عليه: ﴿ألم تر إلى الذي حآج إبراهيم في ربه﴾ [البقرة: 258]، ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون﴾ [آل عمران: 65]، ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [آل عمران: 66].

وقد ربط ابن عاشور بين الجدل والحجاج وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾ [النساء: 107]، "المجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك"[22]. وقال أيضا: "المجادلة المخاصمة بالقول وإيراد الحجة عليه، فتكون في الخير، كقوله تعالى: ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾، وتكون في الشر، كقوله: ﴿ولا جدال في الحج﴾"[23]. وقال ابن وهب أن الجدل والمجادلة هما: "قول يقصد بهما إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين"[24] وعليه فإنّ كل جدل حجاج وليس كل حجاج جدل.

د. الحجاج في الحديث النبوي الشريف

وردت لفظة الحجاج بمختلف اشتقاقها في الأحاديث النبوية وأذكر شيئا من تلك الأحاديث مبينًا معانيها، قال عليه الصلاة والسلام: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ"[25]، المقصود في هذا الحديث بـ" أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ" أن يكون

(17) أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي: استقصاء نظري (مج30/99).

(18) المرجع نفسه، ص99–100.

(19) الجرجاني، التعريفات (ص82).

(20) صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتكيا، مطبوع مع كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم (ص299).

(21) عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي (ص226).

(22) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج194/5).

(23) المرجع نفسه، ص60.

(24) ابن وهب، البرهان في وجوه البيان (ص176).

(25) البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الحيل/ بَابُ إِذَا غَصَبَ جَارِيَةً فَزَعَمَ أَنَّهَا مَاتَتْ، فَقُضِيَ بِقِيمَةِ الجَارِيَةِ المَيِّتَةِ، ثُمَّ وَجَدَهَا صَاحِبُهَا فَهِيَ لَهُ، وَيَرُدُّ القِيمَةَ وَلَا تَكُونُ القِيمَةُ ثَمَنًا، 25/9: 6967.

أحد المتخاصمين أعلم بمواقع الحجج من الآخر، وأشد تبيانًا لحجته من خصمه، فيقضى له؛ لأنه استطاع أن يعرض حجته بشكل أفضل فإن كان الحكم له دون وجه حق فإنما يقتطع لنفسه قطعة من النار.

وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام: ".. وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ..."[26]، في هذا الحديث يكون معنى حجة المخاصمة والمدافعة، أي يخاصم القرآن الكريم من ضيعوه ولم يعملوا بأحكامه وحدوده، أو يحتج لمن حفظ تلك الحدود وعمل بما جاء فيه.

وفي حديث آخر فيه ذكر الدجال قال عليه الصلاة والسلام: "غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"[27]، إن لفظة حجيجه في هذا الحديث تعني محاجُّه ومناظره، وأن كل مسلم محاج للدجال ومناظر له إن لم يكن الرسول بيننا.

يلاحظ من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة أن مشتقات لفظة حجاج جاءت كي تدل على المخاصمة والبرهان والمناظرة، وكل هذا جاء في سياق اثبات الحق أو ابطال الباطل، وهذا ما ورد في المعاجم العربية.

- **مفهوم المقامة:**

أ. لغة:

"المَقَامَة: المَجْلِسِ، وَالْجَمْعُ مَقَامَات؛ ومَقَامَاتُ الناسِ: مَجالِسهم أَيْضًا. والمَقَامَة والمَقَام: الْمَوْضِعُ الَّذِي تَقُوم فِيهِ"[28].

ب. اصطلاحًا:

اختلف النقاد في تعريف المقامة فتعرف على أنها فن أدبي حكائي، ظهر في القرن الرابع الهجري، وتدور أحداثها في مجلس واحد حول الحكمة، أو الموعظة أو الملحة ويكون لها بطل وراوٍ، وتصاغ بلغة مخصوصة، تشتمل على وجوه البديع: كالسجع والطباق والجناس... [29]

- **البنى السردية في المقامة المضيرية:**

أ. العنوان وعملية التواصل:

ينهض العنوان في الدراسات التداولية بمهمة جليلة في عملية التواصل بين القارئ، والنص، والمبدع؛ لأن العنوان يمثل نقطة الالتقاء الأولى بين هؤلاء الثلاث، وإذا نظرنا إلى المقامات بوصفها عملًا أدبيًا سرديًا تخييليًا، فإن العنوان يتخذ أهمية خاصة. إن هذه المقامة وسمت بـ(المضيرية) [30] وهي نوع من الطعام، والقارئ المطلع على مقامات بديع الزمان السابقة على هذه المقامة يرى في عناوين تلك المقامات أسماء مدن: كالبصرية، والبغدادية، والسجستانية، والكوفية. أو أسماء تعود إلى شخصيات: كالجاحظية، والغيلانية، والمكفوفية. أو إلى مواضيع: كالقريضية. لكنه في هذه المقامة يقف أمام عنوان يثير في نفسه عددًا من التساؤلات إذ كيف يجعل الهمذاني من المضيرة حكايةً يقيم عليها أوَدَ مقامته.

"إن العناوين – إذن – عبارة عن علامات سيميوطيقية تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النص، كما تؤدي وظيفة الناصية؛ فالعنوان يحيل إلى نص خارجي يتطابق مع النص الأساس فيتلاحقان شكلاً وفكراً"[31]، فالعنوان الركيزة الأولى للسرد في مقامات

(26) مسلم: صحيح مسلم، كِتَابِ الطَّهَارَةِ/ بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ، 203/1: 223.

(27) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ/ بَابُ ذِكْرِ الدَّجَّالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ، 2250/4: 2937.

(28) ابن منظور، لسان العرب (ص 508).

(29) انظر: عباس، نشأة المقامة في الأدب العربي(ص23-27).

(30) "المَضِيرَة: مُرَيْقَة تُطْبَخُ بِلَبَنٍ وأَشياء، وَقِيلَ: هِيَ طَبِيخٌ يُتَّخَذُ مِنَ اللَّبَنِ الْمَاضِرِ. قَالَ أَبو مَنْصُورٍ: الْمَضِيرَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ أَن تَطْبُخَ اللَّحْمَ بِاللَّبَنِ الْبَحْتِ الصَّرِيحَ الَّذِي قَدْ حَذَى اللسانَ حَتَّى يَنْضَجَ اللحمُ وتَخْثُرَ الْمَضِيرَةُ، وَرُبَّمَا خَلَطُوا الْحَلِيبَ بالحَقِين وَهُوَ حِينَئِذٍ أَطيب مَا يَكُونُ." لسان العرب: مادة مضر.

(31) حمداوي، السيميوطيقا والعنونة (مج 98/25).

الهمذاني فأول "ما يطالع القارئ في السرد العمودي العنوان، تلك العتبات النصية المحملة بطاقات دلالية وإشارات تضيء للمتلقي شيئاً من طريقه قبل الشروع في قراءة المقامة"[32].

ب. تعدد الرواة:

المقامة عمل سردي يقوم على راوٍ هو عيسى بن هشام، وبطل هو أبو الفتح الإسكندريّ، وهاتان الشخصيتان تتكرران في سائر المقامات الهمذانية، وثمة أصوات أخرى غائبة في النص الحكائي، إنه صوت بديع الزمان وصوت المحدث الذي يروي عن عيسى بن هشام، "حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قَالَ: كُنْتُ بِالبَصْرَةِ، وَمَعِي أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ رَجُلُ الفَصَاحَةِ يَدْعُوهَا فَتُجِيبُهُ، وَالبَلاغَةِ يَأْمُرُهَا فَتُطِيعُهُ، وَحَضَرْنَا مَعْهُ دَعْوَةَ بَعْضِ التُّجَّارِ، فَقُدِمَتْ إِلَيْنَا مَضِيرَةٌ"[33].

إن أول ما يطالع القارئ بعد العنوان فعل (حدثنا)، هذا الفعل الذي يشعر المتلقي ببداية السرد، ولفظة (حدثنا) تحيل إلى الحديث النبوي الشريف بما فيه من صدق في الرواية وتواتر في نقل الخبر، ففي علم مصطلح الحديث يجعلون سمعت وحدثني وأخبرني في أعلى درجات التحمل، ذلك ان المستمع يتلقى الحديث من صاحبه بشكل مباشر[34]، حيث تتخذ هذه اللفظة (حدثنا) مع الضمير (نا) بعدًا حجاجيًا يمثل القوم الذين يستمعون لحديث عيسى بن هشام[35]، وكأن بديع الزمان يختفي وراء هذا الضمير، حيث يقص علينا ما كان من الراوي والبطل مرةً أخرى، فيعيد صياغة الحكاية وسردها من جديد. إن عيسى بن هشام قد حدث جمعًا من بينهم الهمذاني بأحداث هذه المقامة، وإن رواية الهمذاني لها على هذا النحو يعد مطابقًا لرواية عيسى بن هشام؛ لأن الرواية قد تصل إلى المتلقي عن طريق راوٍ آخر.

إن أحداث هذه المقامة تبتدئ بعد اللازمة الكلامية التي يفتتح فيها الهمذاني مقاماته، فكان الراوي عيسى بن هشام والبطل أبو الفتح الإسكندريّ في مدينة البصرة، وقد دعيا إلى مأدبة بعض التجار، "كُنْتُ بِالبَصْرَةِ، وَمَعِي أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ رَجُلُ الفَصَاحَةِ يَدْعُوهَا فَتُجِيبُهُ، وَالبَلاغَةِ يَأْمُرُهَا فَتُطِيعُهُ، وَحَضَرْنَا مَعْهُ دَعْوَةَ بَعْضِ التُّجَّارِ". إن عيسى بن هشام في حديثه هذا قد أورد قولًا يصف فيه أبا الفتح الإسكندريّ حيث يقول: "وَمَعِي أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ رَجُلُ الفَصَاحَةِ يَدْعُوهَا فَتُجِيبُهُ، وَالبَلاغَةِ يَأْمُرُهَا فَتُطِيعُهُ"، إن هذا القول الوارد على لسان ابن هشام لم يأتِ عفو الخاطر، فإذا سلمنا أن هذا الكلام من ابن هشام فإننا أمام نص يتقاطع ويتعالق مع المقامات السابقة، إذ ثمة خيط يمتد بشكل أفقي نحو المقامات السابقة يوضح صورة أبي الفتح ويجليها للقارئ المطلع على تلك المقامات.

إن الصورة التي يظهر بها الإسكندريّ تعد صورة هلامية كثيرة التلون والتشكل بأثواب عديدة وأنماط متنوعة؛ لأن القارئ الخبير يقف على ما كان من أبي الفتح من فصاحة، وبلاغة، وتوظيف لهذه القدرات اللغوية، وإبهار سامعيه وخصومه بفصاحة لسانه وحسن حديثه وقوة بيانه، "فالنص الجديد يثير في القارئ (أو المستمع) طائفة من التوقعات وقواعد اللعبة التي أصبحت بموجبها النصوص السابقة مألوفة لديه. هذه التوقعات يمكنها، مع توالي القراءات، أن تخضع للتغيير أو التصحيح أو التعديل، أو يتم الاقتصار فقط على إعادة إنتاجها. فالتعديل الطفيف والتصحيح يندرجان ضمن الحقل الذي تتطور فيه بنية جنس من التغيير وإعادة الإنتاج، فإنهما يرسمان حدود امتداد هذا الحقل"[36]. يعد هذا الوصف مفتاحًا لشخصية أبي الفتح، وركيزة أخرى للنص؛ لأن القارئ المطلع على المقامات السابقة عندما يقف على هذا الوصف فإنه يستحضر ما كان من البطل في تلك المقامات. وأما القارئ الذي ينفرد في هذه المقامة دون غيرها فإنه يستشرف ما سيكون من أبي الفتح في هذه المقامة. لكن المفارقة ستكون مخالفة

(32) أبو هنية وشريدة، حجاجية السرد في مقامات الحريري (مجلد 521/26)

(33) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص114).

(34) انظر: أبو شهبة، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث(ص96-100).

(35) انظر: مقابلة، وعي النقد ونقد الوعي في المقامة الموصلية: "قراءة تداولية ثقافية" (مج 43/2). وانظر: مقامات بديع الزمان الهمذاني وقصص البيكاريسك (ص10). وانظر: الغزالي، البناء السردي في مقامات السيوطي (ص165-166).

(36) ياوس، نحو جمالية للتلقي تاريخ الأدب تحدّ لنظرية الأدب(ص65).

لتوقع القارئ الخبير؛ لأن خبرته السابقة عن البطل لن تسعفه في رسم أبعاد الصورة الجديدة لأبي الفتح وفق ما أرادها الهمذاني، وهذه المفارقة تدفع بالقارئ إلى الاستمتاع بأحداث المقامة، وتكون عنصرًا من عناصر التشويق المودعة من قبل الهمذاني بحذق ومهارة.

هل كان هذا الوصف الخاص ببلاغة أبي الفتح قد جرى على لسان ابن هشام أم أن الراوي الحقيقي الذي حَدَّثَ عن ابن هشام هو الذي أضافه؟ إن تعدد أصوات الرواة في النص المقامي يسمح بمثل هذا التأويل؛ لأن المتلقي لا يستطيع أن يتبين الخط الدقيق الفاصل بين هذه الأصوات. هذا ما يعطي المقامات تعددًا في القراءة والتأويل، إن هذه الاستراتيجية في النص المقامي تزيد هذا العمل ثراءً وغموضًا، وهذا الغموض يدفع المتلقي إلى مواصلة القراءة ومعاودتها مرةً بعد مرة، وفي كل قراءةٍ جديدة لمقامة بعينها يقف على إضاءات وتحولات في بنية النص لم يسبق له الوقوف عليها.

ج. السرد وأفعال الكلام:

يمضي عيسى بن هشام في سرد حكايته مع البطل وما جرى من أحداث في تلك الوليمة "فَقُدِمَتْ إِلَيْنَا مَضِيرَةٌ، تُثْنِي على الحَضَارَةِ، وَتَتَرَجْرَجُ في الغَضَارَةِ، وَتُؤْذِنُ بِالسَّلاَمَةِ، وَتَشْهَدُ لِمَعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ بِالإِمَامَةِ، فِي قَصْعَةٍ يَزِلُّ عَنْهَا الطَّرْفُ، وَيَمُوجُ فِيهَا الظَّرْفُ، فَلَمَّا أَخَذَتْ مِنَ الخِوانِ مَكانَهَا، وَمِنَ القُلُوبِ أَوْطَانَهَا"[37]، يمضي الراوي في سرد حكايته موظفًا الطاقة الكلامية وما لها من تأثير على ذات المتلقي بغية وضعه في الجو العام للحدث الرئيس، "إن التأثير في المستمع بفعل الكلام أضحى شكلاً من أشكال التسلط الرمزي، والعنف التأويلي؛ الذي غدا ميسماً يميز منطق الحكي في الثقافة العربية"[38].

وبعد هذا قام أبو الفتح الإسكندريّ بإنجاز سلسلة من الأقوال كان لها أثر على القوم المتحلقين حول الوليمة، وقد ظنوا قوله بادئ الأمر من باب المزاح، فلما أشكل عليهم كان لزامًا على الإسكندريّ أن يدع الخوان، وأن ينصرف عن صحبه ويدع منادمتهم، "قَامَ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ يَلْعَنُهَا وَصَاحِبَهَا، وَيَمْقُتُهَا وَآكِلَهَا، وَيَثْلِبُهَا وَطَابِخَهَا، وَظَنَنَّاهُ يَمْزَحُ فَإِذَا الأَمْرُ بِالضِّدِّ، وَإِذَا المِزَاحُ عَيْنُ الجِدِّ، وَتَنَحَى عَنِ ٱلْخِوَانِ، وتِرِكِ مُسَاعَدَةَ الإِخْوَانِ"[39]، إن هذه السلسلة من أفعال الكلام أراد بها صاحبها التأثير على رفاقه؛ لأن أفعال الكلام لها طاقة حجاجية تؤثر على الآخرين، فالتداولية "تعنى بتحليل الكلام، ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام، مما يجعلها ذات صبغة تنفيذية عملية"[40]، وهذا ما جعل أصحاب الإسكندريّ ينزلون عند رغبته ويوافقون على ترك المضيرة رغم تعلقهم بها "وَرَفَعْنَاهَا فَارْتَفَعَتْ مَعَهَا القُلُوبُ، وَسَافَرَتْ خَلْفَهَا العُيُونُ، وَتَحَلَّبَتْ لَهَا الأَفْوَاهُ، وَتَلَمَّظَتْ لَهَا الشِّفَاهُ، وَاتَّقَدَتْ لَهَا الأَكْبَادُ، وَمَضَى فِي إِثْرِهَا الفُؤَادُ، وَلكِنَّا سَاعَدْنَاهُ على هَجْرِهَا، وَسَأَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِهَا"[41].

إن القول الذي جرى على لسان عيسى بن هشام يصور حال القوم المتحلقين حول الخوان، إنه يرصد كل حركة منهم ما تخفى وما تظهر وكل دقيقة وجليلة، وهو بذلك ينجز أقوالًا أراد بها التأثير على المتلقي، فحال القوم وقد ارتفعت المضيرة كأنه مشهد ينبض بالحركة، فبارتفاع المضيرة ارتفعت لها القلوب ثم تبعتها العيون، فتحلبت لها الأفواه، وتلمظت لها الشفاه، وتحرقت لها الأكباد، كل هذا في صيغة الجمع، إلا أن عيسى بن هشام جاء بلفظة المفرد في نهاية القول "وَمَضَى فِي إِثْرِهَا الفُؤَادُ"، وكأن ابن هشام قد انشغل في مراقبة الإخوة وما يصدر عنهم من انفعالات جراء هذا الحدث أو لعله انشغل في صديقه الإسكندريّ بعد أن ترك الخوان وانتحى جانبًا، وقد يكون إغفال ما كان منه من باب مراعاته لردة فعل الإسكندريّ وتحرجًا مما فعل، وقد يصدق هذا

(37) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص114-116).

(38) الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، بحث في الأشكال والاستراتيجيات (ص162).

(39) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص116).

(40) فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص (ص10).

(41) الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل بحث في الأشكال والاستراتيجيات (ص162).

(41) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص116-117).

القول حين نتذكر أن الراوي والبطل قد ذهبا معًا لحضور الوليمة وهو لا يريد أن يخفي تعلقه بالمضيرة، فجاء بلفظ المفرد في نهاية القول، ويبدوا أن فؤاد عيسى بن هشام ظل متعلقًا بالمضيرة فمضى فؤاده خلفها.

د. السرد والراوي البطل:

ينتقل بنا بديع الزمان بعد هذا إلى بُعدٍ آخر؛ كي يحمل القارئ على الاقتناع في أحداث المقامة، ويعد السرد في الدرس التداولي تقنية يوظفها المبدع بغية التشويق، فأحيانًا يكون السرد في خدمة الحجاج وأحيانًا أخرى يكون الحجاج في خدمة السرد[42]، "في العديد من الحكايات، يشكل الأكل قبل السرد طقسا لازما"[43]، وتبتدئ الحكاية المتولدة بسؤالهم أبا الفتح عن أمره معها، فَقَالَ: "قِصَّتِي مَعَهَا أَطْوَلُ مِنْ مُصِيبَتِي فِيهَا، وَلَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِهَا لَمْ آمَنِ المَقْتَ، وَإِضَاعَةَ الوَقْتِ، قُلْنَا: هَاتِ: قَالَ: دَعَانِي بَعْضُ التُّجَّارِ إِلَى مَضِيرَةٍ وَأَنَا بِبَغْدَادَ، وَلَزِمَنِي مُلاَزَمَةَ الغَرِيمِ، وَالكَلْبِ لأَصْحَابِ الرَّقِيمِ، إِلَى أَنْ أَجَبْتُهُ إِلَيْهَا"[44].

يشير أبو الفتح في بداية حكايته إلى طول قصته معها، وهي إشارة ضمنية تمهد إلى سرد من نوع خاص، كما أنه في قوله أنه يخشى عليهم المقت إشارة أخرى إلى الأحداث التي سيقصها عليهم، وأثر تلك الأحداث في نفوسهم، إنه يطلب منهم مشاطرته ذلك الشعور قبل أن يبدأ حكايته، وأبو الفتح في حكايته يطابق بين ما سيرويه والحدث الواقع له، فهم في دعوة من قبل بعض تجار البصرة والحكاية التي سيرويها تتحدث عن دعوته من قبل أحد تجار بغداد، فالطعام في الحكايتين متعلق بالمضيرة، وهذه المطابقة بين الحكايتين تجعل القارئ في حالة مقارنة وتجعل الجمع المتحلق حول أبي الفتح يتعاطفون معه أثناء سرده لحكايته. ويبدو أن البطل لا يعرف التاجر البغدادي الذي دعاه؛ وكي لا يُقرّع أو يلام من رفاقه في قبوله لدعوة التاجر بسهولة أورد قولين أشار بهما إلى السبب الذي دعاه للموافقة: القول الأول "لَزِمَنِي مُلاَزَمَةَ الغَرِيمِ" والثاني "الكَلْبِ لأَصْحَابِ الرَّقِيمِ".

وقد أورد الإسكندريّ الحجج الصناعية باعتماده على الحديث النبوي الشريف والقرآن الكريم، وهما حجتان لا يملك السامع إلا الإذعان لقوة بيانهما وفصاحتهما، وهذه الحجج "تخاطبه من خلال عقد سلطوي متواضع عليه ضمنياً بين المرسل والمتلقي"[45] وسوف نتحدث عن أهمية سلطة الشاهد لاحقًا.

هـ. الوصف:

يكون للوصف أهمية خاصة تتقاطع مع تقنية السرد فتضفي على العمل الأدبي هالةً من الجمال وتزيده إشراقًا وحيوية، ذلك أن المتلقي يستشعر تلك الإشارات النصية المبنية على الصورة التخييلية التي تبعثها المفردات في مخيلته، فينفعل لها "انفعالاً نفسانياً غير فكري سواء كان المقول مصدقاً أو غير مصدق وكان القصد في التخييل والإقناع حمل النفوس على فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده"[46]. وفي هذا يشير الفارابي إلى قوة الخيال وأثره في النفس البشرية وما يترتب عليه من اقبال على الأشياء دون شعور "الناس يتبعون تخيلاتهم أكثر من ما يتبعون عقولهم"[47].

وقد سعى الهمذاني في هذه المقامة إلى التأثير على المتلقي من خلال الوصف الوارد فيها، وقد بث هذه الإشارات النصية في تضاعيف مقامته، حيث تعمل هذه الوحدات النصية مرة بعد مرة على تنشيط خيال القارئ في تخيل الصورة التي يرسمها الهمذاني بمفرداته، ويستقبل القارئ ذلك الوصف ويعمل على كمال الصورة حيث يصبح المتلقي طرفًا في عملية الإبداع

(42) انظر: أبو هنية وشريدة، حجاجية السرد في مقامات الحريري (مج 512/26).

(43) كليطو، الغائب: دراسة في مقامات الحريري(ص31).

(44) الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل بحث في الأشكال والاستراتيجيات (ص162).

(44) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص117).

(45) إبلاغ، شعرية النص النثري: مقاربة نقدية التحليل لمقامات الحريري (ص69).

(46) ابن سينا، كتاب الشفاء (ص161-162).

(47) عدنان، الاتجاهات الفلسفية (ص91).

وإعادة قراءة النص مرة أخرى، فالنص الجيد يثير في المتلقي دوافع تجاه النص، فيكون المستهلك مشاركًا في عملية البناء من جديد [48].

ونقف على شيء من ذلك الوصف الذي أورده الهمذاني بغية التأثير على المتلقي من جهة، والشخوص الواردة في المقامة من جهة أخرى حسب ما أورده صاحب المقامة من أقوال تؤثر على الشخصيات التي رسم أبعادها وانفعالها بدقة. حين دعا التاجر البغدادي أبا الفتح الإسكندريّ إلى المضيرة وصف له حذق زوجته وتأنقها في طبخها، يقول: "يَا مَولاْيَ لَوْ رَأَيْتَهَا، وَالخَرْقَةُ فِي وَسَطِهَا، وَهْيَ تَدُورُ فِي الدُّورِ، مِنَ التَّنُّورِ إِلَى القُدُورِ وَمِنَ القُدُورِ إِلَى التَّنُّورِ تَنْفُثُ بِفِيهَا النَّارَ، وَتَدُقُّ بِيَدَيْهَا الأَبْزَارَ، وَلَوْ رَأَيْتَ الدُّخَانَ وَقَدْ غَبَّرَ فِي ذَلِكَ الوَجْهِ الجَمِيلِ، وَأَثَّرَ فِي ذَلِكَ الخَدِّ الصَّقِيلِ، لَرَأَيْتَ مَنْظَراً تَحارُ فِيهِ العيُونُ"[49].

إن هذا الوصف الوارد على لسان التاجر يعمل على إقناع الإسكندريّ بجودة الطعام الذي سيقدم له؛ لأن الخيال المتجسد في فكره سيغريه في الإقبال على مثل ذلك الطعام، "للصور التخيلية تأثير في تلوين الفكر بشكلها الفاتن؛ لأن الإنسان قد يتلقى الأفكار أحياناً عن طريق قلبه وعواطفه وخياله وأوهامه ويعمل بما يصادف هوى نفسه وما ذلك إلا لأن النفس البشرية تميل إلى رؤية الأشكال كأنها حقيقة مسلمة يؤديها العقل ويعرضها المنطق"[50]. إن هذا الوصف للزوجة يبعث في نفس المتلقي طاقة إيجابية ويوهمه بصدق حديث التاجر، إن زوجة بتلك الصفات، وبذلك الحذق، وبتلك المهارة تستطيع أن تقدم طعامًا فاخرًا يعجب آكليه. إن هذه الوحدات النصية المبنية على التخييل لها بنية معقدة وإن كانت مبنية في أصل النص، فإنها لا تستوفي وظيفتها إلا إذا كان لها تأثير على القارئ، وكل بنية قابلة للتمييز في التخييل لها وجهان: الوجه اللفظي والوجه التأثيري[51] .

وفي مكان آخر يصف التاجر الماء المقدم لأبي الفتح ويحثه على النظر إليه وتأمل صفاته، يقول: "باللهِ تَرى هَذَا المَاءَ مَا أَصْفَاهُ، أَزرَقُ كَعَيْنِ السِّنَّوْرِ، وَصَافٍ كَقَضِيبِ البِلَّوْرِ، اسْتُقِيَ مِنَ الفُرَاتِ، وَاسْتُعْمِلَ بَعْدَ البَيَاتِ، فَجَاءَ كَلِسَانِ الشَّمْعَةِ، فِي صَفَاءِ الدَّمْعَةِ، وَلَيْسَ الشَّانُ فِي السَّقَّاءِ، الشَّانُ فِي الإِنَاءِ، لاَ يَدُلُّكَ عَلَى نَظَافَةِ أَسْبَابِهِ، أَصْدَقُ مِنْ نَظَافَةِ شَرَابِهِ"[52]، إن هذا الوصف يغري أبا الفتح في الاقبال على شربه، وإذا علمنا أن هذا الوصف جاء متأخرا في المقامة، فقد وصف قبله الحي الذي يسكنه، والدار الذي يقيم فيها، والحصير الذي اشتراه، والأثواب التي امتلكها، وهو لم يقدم لضيفه بعد أي شيء، فمنذ صَحِبه وهو ينتقل فيه من وصفٍ إلى آخر دون أن ينال من كرم ضيافة التاجر شيء، وكأن حديث التاجر سراب يغري أبا الفتح باتباعه، فليس له من ذلك السراب إلا رؤيته حتى إذا أتاه لم يجده شيئًا.

إن إصرار التاجر على استثارة خيال المتلقي وأبي الفتح خاصة كان مقصودًا، وذلك جلي في العبارات المستخدمة من قبله في حث الإسكندريّ على النظر والتأمل في جميع ما وصف له، وفي ما يأتي نحصر المواضع التي استخدمها التاجر كي يثير المخيلة لدى المتلقي (القارئ) والجمهور (من يستمع إلى قصة الإسكندريّ) (لَوْ رَأَيْتَهَا وَالخَرْقَةُ فِي وَسَطِهَا، لَوْ رَأَيْتَ الدُّخَانَ وَقَدْ غَبَّرَ فِي ذَلِكَ الوَجْهِ الجَمِيلِ، يَا مَوْلاي تَرَى هَذِهِ المَحَلَّةَ؟، انْظُرْ إِلَى دَقَائِقِ الصَّنْعَةِ فِيهَا، تَأَمَّلْ حُسْنَ تَعْرِيجَهَا، انْظُرْ إِلى حِذْقِ النَّجَّارِ فِي صَنْعَةِ هذَا البَابِ، وَهَذِهِ الحَلَقَةُ تَرَاهَا اشْتَرَيْتُهَا فِي سُوقِ الطَّرَائِفِ، تَأَمَّلْ بِاللهِ مَعَارِجَهَا، تَأَمَّلْ بِاللهِ دِقَّتَهُ وَلِينَهُ، تَرى هذَا الغُلاَمَ؟، انْظُرْ إِلى هَذَا الشَّبَهِ كَأَنَّهُ جِذْوَةُ اللَّهَبِ، تَأَمَّلْ حُسْنَهُ، باللهِ تَرى هَذَا المَاءَ مَا أَصْفَاهُ، تَأَمَّلْ بِاللهِ هَذَا الخِوَانُ، وَانْظُرْ إِلَى عَرْضِ مَتْنِهِ).

(48) انظر: هولب، نظرية التلقي مقدمة نقدية (ص103).
(49) الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل بحث في الأشكال والاستراتيجيات (ص162).
(49) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص118).
(50) العبيدي، الأدب ومذاهب النقد فيه (ص28).
(51) انظر: إيزر، فعل القراءة نظرية جمالة التجاوب في الأدب (ص12).
(52) الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل بحث في الأشكال والاستراتيجيات (ص162).
(52) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص130-131).

و. الاستفهام:

يعد الاستفهام من الأفعال الكلامية التي يكون لها قوة حجاجية وتوجيهية داخل الخطاب، فـ"طاقة السؤال الإقناعية تنبني في أغلب الأحيان على الضمني لا على المصرح به"[53]، فتكون القيمة الحجاجية للسؤال مبنية على ما يحدثه من استجابة لدى المتلقي تدفع الحكاية إلى أبعاد أخرى تسهم في بناء المقامة وفق ما أراده الهمذاني، وهذا الأمر "يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقا من قيمته الحجاجية"[54]، وظف الهمذاني الاستفهام في المقامة المضيرية توظيفًا يتناسب مع بنية الحكاية بحيث تخدم الصورة العامة التي رسمها لأبعاد الشخصيات الواردة فيها.

حين أعرض الإسكندريّ عن المضيرة أقبل عليه الجمع يسألوه عن فعله "وَسَأَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِهَا، فَقَالَ: قِصَّتِي مَعَهَا أَطْوَلُ مِنْ مُصِيبَتِي فِيهَا". إن طاقة السؤال الحجاجية قد استدعت فعلًا إنجازيًا كلاميًا من قبل الإسكندريّ فأخذ بسرد حكايته مع التاجر البغدادي، إن طاقة السؤال الحجاجية تدفع بالحوار إلى مستويات أخرى تساهم في تطور الحدث، فلما "كان الكلام إثارة السؤال أو استدعاء له فإنه يولد بالضرورة نقاشا ومن ثمة حجاجا فإذا بالكلام والحجاج متصلان على نحو عميق"[55].

سعى الهمذاني في مقامته إلى توظيف آليات الاقناع وفق معطيات خاصة ترسم حدود شخصية التاجر وما يصدر عنه من أقوال وأفعال، فكان السؤال الأول وإجابة الإسكندريّ عليه بابًا لاستبداد التاجر بالأسئلة دون أن ينتظر ردًا من أبي الفتح؛ لأن جوابه لم يعجب التاجر وذلك حين سأله: " كَمْ تُقَدِّرُ يَا مَوْلايَ أُنْفِقَ عَلى كُلِّ دَارٍ مِنْهَا؟ قُلْهُ تَخْمِيناً إِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ يَقِيناً، قُلْتُ: الكَثِيرُ، فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! مَا أَكْبَرَ هَذا الغَلَطَ! تَقُولُ الكَثِيرَ فَقَطْ؟ وَتَنَفَّسَ الصُعَدَاءَ"[56].

كان السؤال في مواضع أخرى لا ينبني عليه فعلٌ إنجازيٌ من قبل الإسكندريّ بل أجاب هو على السؤال ومضى في حديثه، لكنه في صنيعه هذا رسم الحدود الدقيقة لشخصية التاجر، فهو رجل ثرثار لا ينتظر الفعل الإنجازي الكلامي أو الفعلي من الإسكندريّ، بل يمضي في كلامه، لا يحفل بردة الفعل، فهو المسيطر فيما يقول ويفعل. وهذا واضح من الأسئلة التي طرحها التاجر بخصوص الأشياء التي امتلكها: كالبيت، والحصير، والخوان، والطست، والغلام، حيث قال: "هَذِهِ دَارِي، كَمْ تُقَدِّرُ يَا مَوْلايَ أَنْفَقْتُ على هذِهِ الطَّاقَةِ؟"[57]، "مَنِ اتَّخَذَهُ يا سَيِّدِي؟ اتَّخَذَهُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ مَحَمَّدٍ"[58]، "كَمْ فِيهَا يَا سَيِّدِي مِنَ الشَّبَهِ؟ فِيهَا سِتَّةُ أَرْطَالٍ"[59]، "كَيْفَ حَصَّلْتَهَا؟ وَكَمْ مِنْ حِيلَةٍ احْتَلْتَهَا، حَتَّى عَقَدْتَهَا؟ كانَ لِي جَارٌ"[60]، "باللهِ منَ اشْتَرَاهُ؟ اشْتَرَاهُ وَاللهِ أَبُو العَبَّاسِ"[61].

إن السؤال الوحيد الذي كان من أبي الفتح للتاجر حين بلغ الملل منه مبلغه كان عن الطعام، فأجابه التاجر ثم واصل حديثه عن جودة الخوان ودقة صنعه "هَذا الشَّكْلُ، فَمَتى الأَكْلُ؟ فقَالَ: الآنَ، عَجِّلْ يا غلام الطَّعَامَ، لكِنَّ الخِوَانَ قَوَائِمُهُ مِنْهُ"[62]. إن اعراض التاجر عن سؤال الإسكندريّ يساوي اعراضه عن جوابه في السؤال الأول، فلا قيمة لأي فعل انجازي كلامي يصدر عن

(53) الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه (ص142).
(54) العزاوي، اللغة والحجاج (ص57).
(55) الدريدي، الحجاج في الشعر بنيته وأساليبه (ص141).
(56) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص120-121).
(57) المصدر نفسه، ص121.
(58) المصدر نفسه، ص121.
(59) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص122).
(60) المصدر نفسه، ص122.
(61) المصدر نفسه، ص129.
(62) المصدر نفسه، ص133.

أبي الفتح، إن شخصية كشخصية التاجر تظل مسيطرة؛ لأنه المالك لكل شيء تحدث عنه، إن أحادية الاتجاه لدى التاجر لا تسمح بوجود اتجاه آخر يعارض شخصيته أو يؤثر عليها.

ما الذي رمى إليه الهمذاني من خلال هذا التوظيف الغريب لكم الأسئلة التي طرحها التاجر ولم ينتظر فعلاً إنجازيًا من الإسكندريّ؟ إن فهمنا لمفاتيح المقامة هو الذي سيضيئ لنا الطريق لفهم قصد الهمذاني، فإذا عدنا إلى بداية المقامة نرى أن عيسى بن هشام قد وصف أبا الفتح الإسكندريّ بقوله: "رَجُلُ الفَصَاحَةِ يَدْعُوهَا فَتُجِيبُهُ، وَالبَلاغَةِ يَأْمُرُهَا فَتُطِيعُهُ"، فلماذا عجز صاحب البلاغة والفصاحة من الرد على التاجر؟ إن الهمذاني في صنيعه هذا أراد أن يقول لنا أن لا قيمة للفصاحة والبلاغة أمام رجل ثرثار.

ز. أسلوب الأمر

وظف الهمذاني أسلوب الأمر في مقامته وهو من الأساليب الإنشائية التي لها تأثير على المتلقي، هذا الأسلوب يعمل على توجيه السامع إلى إنجاز فعل بعينه، وهذا الإنجاز يكون إنجازًا ضمنيًا بالدعوة إلى القيام بالفعل، ومن هنا تأتي أهمية الأمر لما يحمله من طاقة حجاجية في الخطاب [63]. وظف الهمذاني أفعال الأمر على لسان التاجر قصد التأثير على الإسكندريّ وحثه على القيام بالفعل الذي أراده، وذلك كي يتبين أبو الفتح حسن ودقة ما يمتلكه التاجر من بيت، وحصير، وغلام، وغير ذلك. وفيما يأتي نحصر أفعال الأمر الواردة على لسان التاجر (قُلْهُ، انْظُرْ، دَوِّرْهَا، انْقُرْهَا، أَبْصُرْهَا، تَأَمَّلْ، تَبَيَّنْ، تَقَدَّمْ، احْسِرْ، شَمِّرْ، انْضُ، افْتَرَّ، أَقْبِلْ، ضَعِ، هَاتِ).

إن هذا الأسلوب الذي اعتمده التاجر لم يقف عند الطلب من الإسكندريّ ملاحظة ما أراده، بل تجاوزه إلى الطلب من أبي الفتح بأن يسأله عن بعض الأشياء: كالدار، والابريق، والمنديل، حيث قال: " وَسَلْنِي: كَيْفَ حَصَّلْتَهَا؟ وَكَمْ مِنْ حِيلَةٍ احْتَلْتَهَا، حَتَّى عَقَدْتَهَا؟"[64]، "وَسَلْنِي مَتَى اشْتَرَيْتُهُ؟ اشْتَرَيْتُهُ واللهِ عَامَ المَجَاعَةِ"[65]، "وَهذَا المِنْدِيلُ سَلْنِي عَنْ قِصَّتِهِ، فَهُوَ نَسْجُ جُرْجَانَ، وَعَمَلُ أَرَّجَانَ"[66]، لا يقف كلام التاجر عند هذا الحد بل يتجاوزه إلى الاستمرار بالحديث دون أن ينتظر السؤال من أبي الفتح، وكأن الفعل الإنجازي الكلامي من أبي الفتح قد وقع، وبناءً على ذاك الفعل يسترسل التاجر في حديثه، فيتقاطع أسلوب الأمر والاستفهام في كلام التاجر بطريقة تدهش القارئ، وتثير في نفسه تساؤلات حول مدى صبر أبي الفتح على مثل هذا المضيف.

من الواضح أن الهمذاني قد أبدع في رسم شخصية التاجر، وفي توظيف الأفعال الكلامية الإنجازية الصادرة عنه، فأسلوب الأمر كان واضحًا في خطابه لأبي الفتح إلا أن هذا الأسلوب قد اختفى حين سأل أبو الفتح التاجر عن موعد الطعام، فما كان من الأخير إلا أن دعا غلامه بقوله: " يَا غُلاَمُ الْخُوَانَ، فَقَدْ طَالَ الزَّمَانُ، وَالقِصَاعَ، فَقَدْ طَالَ المِصَاعُ[67]، والطَّعَامَ، فَقَدْ كَثُرَ الكَلاَمَ"[68]، والتقدير أحضر أو اجلب، فغياب أسلوب الأمر حين خاطب التاجر غلامه يشير إلى أن التاجر ليس لديه نية في تلبية رغبة الإسكندريّ، فقد أعرض عن هذا الكلام وواصل تعداد محاسن الخوان.

❖ الروابط والعوامل الحجاجية

ننتقل إلى مستوى جديد من مستويات التداولية في المقامة المضيرية؛ كي نتبين آليات التداول الحجاجي التي أقام عليها بديع الزمان حكايته، نتحدث هنا عن الروابط والعوامل الحجاجية وعن الدور الفاعل لها داخل الخطاب، "ولعل الاهتمام بالروابط تبلور

(63) انظر: الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه (ص149).

(64) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص122).

(65) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص130).

(66) المصدر نفسه، ص131.

(67) "المُماصَعةُ: المُقاتَلةُ والمُجالَدة بِالسُّيُوفِ؛ أَي الجِلادَ والضِّرابَ: وماصَعَ قِرْنَه مُماصَعةً ومِصاعاً: جالَده بِالسَّيْفِ وَنَحْوِهِ". ابن منظور، لسان العرب (ص430).

(68) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص132).

مع التداولية الحجاجية التي تسجل أن النص أو الخطاب عبارة عن روابط لغوية حجاجية"[69]. وقد عرف العزاوي الحجاج اللغوي بأنه: "تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب؛ وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[70]. وتكون البنية الحجاجية مطبوعة في أصل اللغة لا تنفصل عنها، وتعمل هذه البنيات مع بعضها على تشكيل البنية الحجاجية من خلال التسلسلات الخطابية اللغوية المطبوعة فيها كما تتحدد بواسطة الأقوال التي تم توظيفها وتشغيلها داخل النص [71]، ولا تكون العلاقة بين الحجة والنتيجة علاقةً اعتباطية، بل تبنى وفق ما يراهُ المحاج داخل الخطاب. فالوظيفة الحجاجية المطبوعة في بنية اللغة تأتي في الدرجة الأولى، وأما العملية الإخبارية للغة تكون في الدرجة الثانية، فالقصد من وراء اللغة هو التأثير وليس الإخبار وفق ما يرى ديكرو [72].

أ. الروابط الحجاجية

عرف العزاوي الروابط الحجاجية بقوله: "الروابط تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر)، وتسند لكل قول دوراً محدداً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة"[73]. والرابط التداولي يركز على العلاقة التي تربط بين الكل الدلالي التركيبي من جهة، ومتداول اللغة من جهة ثانية [74]، وأعرض إلى عدد من الروابط الحجاجية في المقامة المضيرية، وأقف على أثر هذه الروابط في عملية التواصل بين الشخوص من جهة وبين المتلقي من جهةٍ أخرى. فالروابط هي التي "توجه حجاجيًا السلسلة الكلامية باستثارة إعادة التعامل مع محتوى قضوي، إما باعتباره حجة، وإما باعتباره نتيجة، وإما باعتباره حجة وظيفتها مساندة استدلال أو تقويته أو أيضًا باعتباره حجة مضادة"[75].

1. الرابط الحجاجي التعارضي (لكن)

هي من الأدوات الحجاجية التي تربط بين قولين يختلفان في درجة القوة وتفيد الاستدراك فيما يتوهم أنه داخلٌ في الخبر فتكون الحجة التي قبلها تؤدي إلى نتيجةٍ ما والحجة التي جاءت بعدها تؤدي إلى ضد النتيجة الأولى [76]. وعلى هذا فإن (لكن) الحجاجية تستلزم وجود حجتين الأولى قبلها وتخدم النتيجة الضمنية (ن) والثانية بعدها وتخدم النتيجة الضمنية المضادة (لا – ن) إضافة إلى أن الحجة التي بعد (لكن) هي الحجة الأقوى وهي التي توجه الخطاب برمته نحو (لا – ن) [77].

وظف بديع الزمان الرابط الحجاجي (لكن) على لسان الراوي عيسى بن هشام حين أخذ أبو الفتح الإسكندريّ بالسباب لرؤيته المضيرة ثم ترك الخوان وتنحى جانبًا، فما كان منهم إلا أن يرفعوا تلك المضيرة ويسألوه عن شأنها: "وَرَفَعْنَاهَا فَارْتَفَعَتْ مَعَهَا الْقُلُوبُ، وَسَافَرَتْ خَلْفَهَا العُيُونُ، وَتَحَلَّبَتْ لَهَا الأَفْوَاهُ، وَتَلَمَّظَتْ لَهَا الشِّفَاهُ، وَاتَّقَدَتْ لَهَا الأَكْبَادُ، وَمَضَى فِي إِثْرِهَا الفُؤَادُ، وَلكِنَّا سَاعَدْنَاهُ على هَجْرِهَا، وَسَأَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِهَا"[78]، ويمكن النظر إلى الرابط الحجاجي التداولي لكن والحجج المترتبة عليه على النحو التالي ما قبل الرابط الحجاجي سلسلة من الحجج وهي: (ارْتَفَعَتْ مَعَهَا الْقُلُوبُ، سَافَرَتْ خَلْفَهَا العُيُونُ، تَحَلَّبَتْ لَهَا الأَفْوَاهُ، تَلَمَّظَتْ لَهَا الشِّفَاهُ،

(69) لشهب، الروابط الحجاجية في المقامة مقامة النحو للزمخشري نموذج. التحليل الحجاجي للخطاب (ص444).
(70) العزاوي، اللغة والحجاج (ص16).
(71) انظر: المرجع نفسه، ص17.
(72) انظر: الحباشة، التداولية والحجاج (ص18).
(73) العزاوي، اللغة والحجاج (ص27). وانظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب (ص508).
(74) انظر: الرقبي، الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله(مج102/40).
(75) باتريك ودومينيك، معجم تحليل الخطاب (ص26).
(76) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري (ج28/5)، وانظر: العزاوي، اللغة والحجاج (ص27).
(77) انظر: العزاوي، اللغة والحجاج (ص57–59).
(78) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص116–117).

اتَّقَدَتْ لَهَا الأَكْبَادُ، مَضَى فِي إِثْرِهَا الفُؤَادُ)، وهذه الحجج كلها تفضي إلى نتيجة ضمنية مفادها رغبتهم في استعادة المضيرة وتأسفهم على هجرها، وأما الحجة الواقعة بعد الرابط الحجاجي هي: (سَاعَدْنَاهُ على هَجْرِهَا، سَأَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِهَا)، وهذه الحجة تفضي إلى النتيجة الضمنية (لا – ن) والتي مفادها التسليم بما كان منه والانشغال بأمره، مما يدفع بأحداث المقامة إلى الأمام معرضين عن المضيرة مقبلين على حديث الإسكندريّ، ويمكن تجسيد العلاقة بين الرابط الحجاجي والنتيجتين الضمنيتين على النحو التالي:

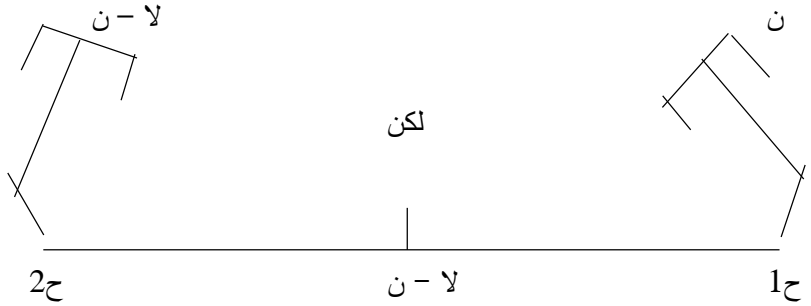

إن هذا الرابط يعمل داخل المقامة وفق ما أراده الهمذاني؛ لأن بداية الحكاية المتولدة داخل المقامة تبتدئ بعد الرابط، إن هذا الانتقال بين الحكاية الإطار والحكاية المتولدة تقوم على الإعراض عن القصة الأولى والالتفات إلى قصة الإسكندريّ، وهذا يدفع بالمقامة إلى أبعاد جديدة وسيرها نحو التأزم والاثارة، فلولا هذا الرابط ما انتقل الإسكندريّ من مستوى الحكاية الأولى إلى الحكاية الثانية.

يعود الهمذاني فيوظف الرابط الحجاجي التعارضي (لكن) مرةً أخرى، وذلك على لسان التاجر البغدادي حين كان يحدث أبا الفتح عن الخوان وجودته، يقول: "تَأَمَّلْ بِاللهِ هَذَا الخِوَانُ، وَانْظُرْ إِلَى عَرْضِ مَتْنِهِ، وَخِفَّةِ وَزْنِهِ، وَصَلاَبَةَ عُودِهِ، وَحُسْنِ شَكْلِهِ، فَقُلْتُ: هَذا الشَّكْلُ، فَمَتى الأَكْلُ؟ فقَالَ: الآنَ، عَجِّلْ يَا غُلاَمُ الطَّعَامَ، لكِنَّ الخِوَانَ قَوَائِمُهُ مِنْهُ"[79]، إن هذا القول يشتمل على حجج تفضي إلى نتائج ضمنية، إن اسراف التاجر في وصف الخوان والإطراء على صانعيه دون الالتفات إلى القيام بواجب الضيافة جعل أبو الفتح يسأل عن الطعام، مما دفع التاجر إلى سلسلة من الحجج كانت مبنية بناءًا تعارضيًا فقول التاجر الذي سبق الرابط الحجاجي التعارضي (لكن) والذي يتمثل بقوله: "الآن" ثم دعوته للغلام بأن يقدم الطعام تفضي إلى نتيجة ضمنية مفادها تلبية رغبة الضيف وإكرامه، وأما الحجة التي جاءت بعد الرابط الحجاجي والمتمثلة في قول التاجر: "الخِوَانَ قَوَائِمُهُ مِنْهُ" تفضي إلى نتيجة ضمنية ضد النتيجة الأولى مفادها مواصلة الحديث عن الخوان والاعراض عن كلام أبي الفتح، والحجة الثانية الواقعة بعد الرابط الحجاجي مع نتيجتها الضمنية توجه الكلام بكليته إلى هذه الغاية، وهذا ما جعل أبو الفتح يدرك مماطلة التاجر وعدم رغبته في اكرامه مما دفعه إلى الهروب من بيت مضيفه فلا زال أمامه الكثير ليتحدث عنه في بيته: كالحطب والخبز واللحم وغير ذلك.

وهنا يتخذ الرابط الحجاجي التعارضي (لكن) دوراً جديداً في الانتقال من الحكاية المتولدة إلى الحكاية الإطار؛ كي يعود بنا إلى جو المقامة وندرك وجه الشبه بين الحكايتين، إن هذا الرابط له أهمية خاصة وركيزة أساسية في هذه المقامة يوظفه الهمذاني ببراعة حيث ينتقل بنا بين مستويات متعددة من تقنيات السرد ومن زمن إلى آخر.

2. الرابط الحجاجي التساوقي (حتى)

يعد هذا الرابط من الروابط الحجاجية التي تعمل على ترتيب الحجج داخل الخطاب "بحيث يكمن دورها في ترتيب عناصر القول ويفهم معناها الوظيفي من السياق الذي ترد فيه"[80]، وتكون حجاجية بحالي العطف والجر "ولا تكون حتى الجارة حجاجية إلا إذا كان ما بعدها داخلاً فيما قبلها"[81]. وظف الهمذاني الرابط (حتى) في مقامته بغية إقناع القارئ في الخطاب الذي

(79) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص133).

(80) بوخشة، الروابط الحجاجية في شعر أبي الطيب المتنبي– مقاربة تداولية (ص156).

(81) العزاوي، اللغة والحجاج (ص72).

أنشئ لأجله، فكان لهذا الرابط أثرٌ في عملية الاقناع؛ لأنه يجمع بين حجج تفضي إلى نتيجةٍ واحدة حسب السلم الحجاجي وآليات اشتغال الحجج فيه من حيث القوة والضعف، ونذكرُ شيئاً من الأقوال التي ورد فيها هذا الرابط لنرى كيف عمل على توجيه الخطاب وإقناع القارئ بهذا النسيج الحكائي البديع من جهة والتأثير على الشخوص الواردة في المقامة من جهة أخرى.

عندما دخل التاجر البغدادي مع أبي الفتح الإسكندريّ إلى الدار ثم جعل يتعجب من روعة بنائها وحسن تعريجها ومتانة جدرانها طلب من الإسكندريّ أن يسأله كيف أصبحت هذه الدار ملكه، يقول: "وَسَلْني: كَيْفَ حَصَّلْتَهَا؟ وَكَمْ مِنْ حِيلَةٍ احْتَلْتَهَا، حَتَّى عَقَدْتَهَا؟"[82]، إن هذا القول يشتمل على حجج تنتمي إلى سلم حجاجي واحد بحيث تكون الحجة الواقعة قبل الرابط أضعف من الحجة الواقعة بعده ولكنها تتظافر؛ كي تصل إلى نتيجة واحدة ضمنية أراد التاجر أن يصل إليها، ويمكن تقسيم هذه الحجج ونرمز لها (ح) مع نتيجتها الضمنية ونرمز لها (ن) على النحو التالي: الحجة الأولى (كيف حصلتها)، والحجة الثانية (كم من حيلة احتلتها)، والحجة الثالثة الواقعة بعد الرابط وهي الأقوى في السلم الحجاجي(حتى عقدتها)، والنتيجة الضمنية التي يفضي إليها هذا القول (قدرة التاجر على تحصيل ما يريد).

ن= قدرة التاجر على تحصيل ما يريد

↑

ح3- حتى عقدتها

ح2- كم من حيلة احتلتها

ح1- كيف حصلتها

إن الحجج الواقعة في هذا السلم الحجاجي متراتبة من الأضعف حتى الأقوى؛ كي تصل بالمتلقي إلى النتيجة الضمنية التي أرادها المحاج وذلك قصد التأثير عليه؛ لأن الوظيفة الإقناعية للغة مطبوعة في أصلها، وقد أراد التاجر في كلامه هذا التأثير على أبي الفتح وحمله على الاقتناع بما يمتلك صاحب الخطاب من إمكانات جعلته تاجرًا وله حظٌ في التجارة.

يعود التاجر فيوظف الرابط الحجاجي (حتى) مرةً أخرى في كلامه في قصته مع صاحب البيت وكيف استدرجه بالمعاملات حتى أصبح البيت في يده، يقول: "فَعَمِدْتُ إِلَى أَثْوَابٍ... ثُمَّ تَغَافَلْتُ عَنِ اقْتِضَائِهِ، حَتَّى كَادَتْ حَاشِيَةُ حَالِهِ تَرِقُّ... وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَ دَارَهُ رَهِينَةً لَدَيَّ، وَوَثِيقَةً فِي يَدَيَّ، فَفَعَلَ، ثُمَّ دَرَّجْتُهُ بِالمُعَامَلاتِ إِلَى بَيْعِهَا حَتَّى حَصَلَتْ لِي بِجَدٍّ صَاعِدٍ"[83]، من الملاحظ أن هذا القول يشتمل على ذكر الرابط الحجاجي (حتى) مرتين، وذلك يؤكد على أهمية هذا الرابط في ادراج الحجج وبنائها بناءًا محكمًا بغية الإقناع، الحجج الواردة قبل الرابط الحجاجي الأول هي: (يَشْتَرِيهَا نَسِيَّةً) والحجة الثانية (تَغَافَلْتُ عَنِ اقْتِضَائِهِ) وأما الحجة الأقوى الواقعة بعد الرابط (حَتَّى كَادَتْ حَاشِيَةُ حَالِهِ تَرِقُّ) والنتيجة الضمنية لهذه الحجج (عجز صاحب الدار عن السداد). وأما الرابط الثاني فقد سبقه عدد من حجج تبين كيف استدرج التاجر صاحب الدار؛ كي يزيد في ضعفه فلا يستطيع إلا التسليم لرغبة التاجر، وتتمثل الحجج في مطاوعة التاجر صاحب الدار في طلباته فوافق على أن يمهله، ثم وافق أن يأتيه بأثواب أخرى، ثم انقلبت الصورة فأصبح صاحب الدار هو المطاوع لأمر التاجر، فسأله أن يجعل البيت رهينةً لديه، فما كان من صاحب الدار إلا تلبية رغبته والنزول عند أمره، ثم درجه بالمعاملات إلى أن أصبح البيت ملك التاجر، وهذا ما أشارت إليه الحجة الأخيرة الواقعة بعد الرابط (حَتَّى حَصَلَتْ لِي بِجَدٍّ صَاعِدٍ).

إن توظيف الرابط الحجاجي (حتى) من قبل التاجر يؤكد غاية المُحاج في رسم صورة لدى المتلقي عن قدراته الفريدة في التجارة، وهذا الأمر دفع الإسكندريّ في نهاية المقامة إلى إدراك قصد التاجر وأنه صاحب حيلة ودهاء ومطال، إنه لا يقدم شيء إلا أن يجعل مقابل هذا الشيء هدفًا أراد الوصول إليه، إن الإسكندريّ في فراره من التاجر وظف هذا الرابط؛ كي يؤكد للقارئ أنه

(82) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص122).

(83) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص122-123).

أدرك غاية التاجر فخيرًا له أن يولي الأدبار فإن الغنيمة في الفرار، يقول: "وَبَقِيَ الحَطَبُ مِنْ أَيْنَ احْتُطِبَ، وَمَتَى جُلِبَ؟ وَكَيْفَ صُفِّفَ حَتَّى جُفِّفَ؟ وَحُبِسَ، حَتَّى يَبِسَ... وَبَقِيَ البَقْلُ كيفَ احْتِيلَ لَهُ حَتَّى قُطِفَ؟ وَفِي أَيِّ مَبْقَلَةٍ رُصِفَ؟ وَكَيْفَ تُؤُنِّقَ حَتَّى نُظِّفَ؟ وَبَقِيتِ المَضِيرَةُ كَيْفَ اشْتُرِيَ لَحْمُها؟ وَوُفِّيَ شَحْمُهَا؟ ونُصِبَتْ قِدْرُها، وَأَجِّجَتْ نَارُها، وَدُقَّتْ أَبزَارُها، حَتَّى أُجِيدَ طَبْخُها"(84).

دار الحديث هذا في خلد أبي الفتح الإسكندريّ ولم يطّلع التاجر عليه، إن القارئ للمقامة يدرك الغرض من توظيف الإسكندريّ لهذا الخطاب، إنه أراد أن يخبر المتلقي بأنه قد فهم حيلة التاجر وأن بقائه في البيت مضيعة للوقت، وكي يقدم حجة للقارئ تؤكد له ذلك أنشأ خطابًا مماثلًا لخطاب التاجر موظفًا الطاقة الحجاجية للسلم الحجاجي مع الحجج الواردة فيه من الأضعف إلى الأقوى وبذات الرابط الذي حاول التاجر اقناع الإسكندريّ فيه.

3. الرابط الحجاجي التساوقي (لا سيما)

هذا الرابط مكون من لا النافية للجنس وسيما بمعنى مثل، ويكون المذكور بعد هذا الرابط منبهًا على أولويته في الحكم، فيجمع هذا الرابط بين حجج تنتمي إلى سلم حجاجي واحد، وتكون الحجة الواقعة بعدهُ أقوى في الدلالة من الحجج التي وقعت قبلهُ. وقد وظف الهمذاني هذا الرابط في المقامة وانسجم توظيفه مع بنية الحكاية، حيث جعل التاجر يتحدث عن زوجته وما فيها من خصال حميدة، وصفات رائقة، وتدبير متقن في شؤون البيت، يقول عنها: "يَا مَولاْيَ لَوْ رَأَيْتَهَا، وَالخَرْقَةُ فِي وَسَطِهَا... وَأَنَا أَعْشَقُهَا لأَنَّهَا تَعْشَقُنِي، وَمِنْ سَعَادَةِ المَرْءِ أَنْ يُرْزَقَ المُسَاعَدَةَ مِنْ حَلِيلَتِهِ، وَأَنْ يَسْعَدَ بِظَعِينَتِهِ، وَلاَ سِيَمَّا إِذَا كانَتْ مِنْ طِينَتِهِ، وَهْيَ ابْنَةُ عَمِّي"(85).

يقدم التاجر في كلامه عدد من الحجج يحمل بها الإسكندريّ على التصديق بما يقول من وصفٍ خصَّ به زوجته، وقد جعل هذه الحجج تقوي بعضها ضمن سلم تراتبي؛ كي يصل إلى النتيجة الضمنية التي تفضي إليها الحجج، فالحجة الأولى أعشقها لأنها تعشقني، والثانية سعادة المرء إذا رزق المساعدة من حليلته، والثالثة أن يسعد بظعينته، والحجة الرابعة في هذا السلم هي من طينته وابنة عمه، والنتيجة الضمنية التي ترشحها هذه الحجج التكافؤ الذي بين التاجر وزوجته، فقد يعشق الرجل المرأة دون أن تعشقه أو يكون الضد، لكن إذا كان الأمر بينهما كما قال التاجر فإنه أجود، وإذا رزق الرجل المساعدة والعون من زوجته كان سببًا في بناء لبِنة المجتمع، وإذا سعد بها في حله وترحاله فهي النعمة التامة، فكيف إذا كانت من طينته وشبيهة له.

قلتُ إن الهمذاني قد أحسن توظيف الرابط (لا سيما) في هذه المقامة؛ لأنه ينسجم مع بنية الحكاية، إن هذا التاجر يرى كل ما يمتلكه نفيس ونادر وقد حازه بدهائه وفطنته، سواء كان ذلك من زوجة أو بيت أو باب لذاك البيت أو مصراع لذاك الباب أو خوان أو غلام أو حصير؛ لأن كل شيء امتلكه يصلح له ولبيته ولا يصلح لغيره، فأورد الهمذاني الرابط الحجاجي التساوقي (لا سيما) مرة أخرى في هذه المقامة، حين حدث الإسكندريّ عن الحصير وجودته ومن أين اشتراه وكيف ابتاعه ومن صنعه، يقول: "فَبِحَيَاتِي لاَ اشْتَرَيْتَ الحُصُرَ إلا مِنْ دُكَّانِهِ، فَالمُؤْمِنُ نَاصِحٌ لإِخْوانِهِ، لاَ سِيَّما مَنْ تَحَرَّمَ بِخُوَانِهِ"(86).

هذا القول يشتمل على حجج عدة تدفع نحو النتيجة الضمنية التي يرشحها السياق، وهي (كل ما يمتلكه التاجر نفيس)، وكانت الحجج داخل القول على النحو التالي: لا تشتر الحصر إلا من عنده، والثانية المؤمن ناصح لإخوانه، وأما الحجة الثالثة وهي الأقوى ما جاء بعد الرابط الحجاجي لا سيما من تحرم بخوانه. الحجة الأولى قد تكون بمثابة نصيحة، وقد تكون هذه النصيحة من أي شخص يمر بك، لكنها إذا كانت من مؤمن فإنها أولى وهي الحجة الثانية؛ لأن هذا من أصل الدين، فالأخ ناصح لأخيه ابتغاء مرضاة الله وثوابه، فإذا كان بين الناصح والآخر طعام وشراب كانت النصيحة أولى أن تتبع وأولى أن يجود بها صاحبها؛

(84) المصدر نفسه، ص134-135.

(85) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص118).

(86) المصدر نفسه، ص128.

لأنها ارتفعت عن الحجتين السابقتين درجة، فهو مؤمن، ووقع بينها من الطعام والشراب ما يوجب حرمة خداعه، فتكون الحجة الثالثة تشتمل على ما أمر به الدين وما سار عليه العرف.

ب. العوامل الحجاجية

تختلف وظيفة العوامل الحجاجية عن الروابط الحجاجية؛ فهي لا تجمع بين حجج تنتمي إلى سلم حجاجي واحد أو بين قولين، ولا تكون تعارضية كما رأينا في الروابط الحجاجية، "ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما"[87]، وهي "واسمٌ لغوي يقيّد احتمالاتها عندما يعيّن لها وجهةٌ حجاجية"[88]، فتعمل على تحديد إمكانات الملفوظ وحصرها في اتجاه واحد، وإزالة جوانب التعدد والغموض لدى المتلقي "فيعمد العامل الحجاجي إلى حصرها حتى تقود إلى نتيجة واحدة، وذلك بالانتقال بالملفوظ من الإبلاغية إلى الحجاجية"[89]، والعوامل الحجاجية من قبيل: (ربما، تقريبًا، كاد، قليلًا، كثيرًا، ما+إلا ومجمل أدوات القصر).

1. العامل الحجاجي (إنما):

يعد هذا العامل الحجاجي من أبرز أدوات القصر في اللغة العربية؛ لأنهُ يقصر الصفة على الموصوف [90]، ويؤكدها، فقال السكاكي: "قصر الصفة على الموصوف وبالعكس ليس إلا تأكيدا للحكم على تأكيد"[91]، وقد عرض الجرجاني إلى أهمية هذه الأداة وما لها من تأثير في عملية حصر الملفوظ قال: "اعْلَمْ أنها تفيدُ في الكلام بَعْدَها إيجابَ الفعلِ لشيءٍ، ونَفْيَه عن غيرِه، فإذا قلْتَ: (إنما جاءني زيدٌ)، عُقِلَ منه أنكَ أرَدْتَ أن تنفي أن يكون الجاني غيرَه. فمعنى الكلامِ معَها شبيهٌ بالمعنى في قولك: (جاءني زيدٌ لا عمرو)"[92].

وظف الهمذاني هذا العامل على لسان التاجر البغدادي؛ كي يمنع تعدد الاحتمالات ويوجه الخطاب إلى غاية بعينها، وذلك بحديثه عن المحلة التي تقع فيها داره، يقول: "يَا مَوْلاي تَرَى هَذِهِ المَحَلَّةَ؟ هِيَ أَشْرَفُ مَحَالِّ بَغْدَادَ، يَتَنَافَسُ الأَخْيَارُ فِي نُزُولِها، وَيَتَغايَرُ الكِبَارُ فِي حُلُولِهَا، ثُمَّ لاَ يَسْكُنُهَا غَيْرُ التُّجَّارِ، وَإِنَّمَا المَرْءُ بِالْجَارِ وَدَارِي فِي السِّطَةِ[93] مِنْ قِلادَتِهَا، وَالنُّقْطَةِ من دَائِرَتِهَا"[94]، إن التاجر في حديثه هذا يؤكد أن هذه المحلة هي أشرف محال بغداد، وأن الأخيار وكبار القوم يرغبون في أن يكون لهم مكان فيها فلا يمكنهم هذا، فهي للتجار فقط، وإن داره في المنتصف من هذه المحلة، وإذا كانت داره كذلك فهو من أرفع التجار ومن عليتهم، فكلما اقتربت الدار من المنتصف كانت أغلى ثمنًا. إن مجتمع التجار له تقاليد تحكمه؛ لأنه ينظر إلى جاره فهو مجتمع منغلق على نفسه لا يقبل أن ينزل بينهم أحد، وإن كان من خيار القوم، إن توظيفه للعامل الحجاجي (إنما) يدفع عن ذهن الإسكندريّ أن مقامه هنا كان محظ صدفة أو دون اختيار، إنه يبحث عن مجتمع التجار؛ لأنه لا يرى نفسه إلا بينهم.

يوظف التاجر العامل (إنما) مرة أخرى في حديثه عن حسن طالعه وبخته المساعد في التجارة، وذلك في حكايته مع المرأة التي طرقت عليه الباب، وكان معها عقد لآل فاشتراه منها بثمن بخس، حيث يقول: "وَسَيَكُونُ لَهُ نَفْعٌ ظَاهِرٌ، وَرِبْحٌ وَافِرٌ، بِعَوْنِ اللهِ

(87) العزاوي، اللغة والحجاج (ص27).

(88) موشلر وريبول، القاموس الموسوعي للتداولية (ص338).

(89) ناجح، العوامل الحجاجية (ص35).

(90) انظر: طلحة، القيمة الحجاجية لأسلوب القصر في اللغة العربية (ص113).

(91) السكاكي، مفتاح العلوم (ج291/2).

(92) الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني (ج335/1).

(93) "وَسَطَ قومَه فِي الحسَبِ يَسِطُهم سِطةً حسنَة. فُلَانٌ وَسِيطُ الدارِ والحسَبِ فِي قَوْمِهِ، وَقَدْ وسُطَ وَساطةً وسِطةً ووَسَّطَ توْسِيطاً؛ وَفُلَانٌ وسِيطٌ فِي قَوْمِهِ إذا كَانَ أَوسطَهم نسَباً وأَرْفَعَهم مَجْداً؛ والتوْسِيطُ: أَن تَجْعَلَ الشَّيْءَ فِي الوَسَط". ابن منظور، لسان العرب(ص430).

(94) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص118–119).

تَعَالَى وَدَوْلَتِكَ، وَإِنَّمَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الحَدِيثِ لِتَعْلَمَ سَعَادَةَ جَدِّيَ فِي التِّجَارَةِ، وَالسَّعَادَةُ تُنْبِطُ المَاءَ مِنَ الحِجَارَةِ"[95]، وكي لا يتوهم الإسكندريّ أن التاجر يستغل فقر الناس فيأخذ منهم ما يريد بثمن قليل وظف هذا العامل؛ كي يدفع هذا الوهم، كما وظفه أيضًا؛ كي يصرف عن ذهن الإسكندريّ أن استضافته له مبنية على نوع من الخداع، فهو لا يريد إلا إكرامه، إذ قد يتبادر إلى ذهن الإسكندريّ بعد الحديث عن كيفية حصوله على الدار، وحصوله على العقد أن استدراجه من باب الخداع، فجاء بهذا الرابط كي يوجه الملفوظ إلى غاية بعينها ويمنع تعدد التأويلات.

2. العامل الحجاجي (لا... إلا):

يتكون هذا العامل الحجاجي من أداة نفي وأداة استثناء، وهو يعمل على تحديد إمكانات الملفوظ وتوجيهه إلى شيء بعينه مؤكدًا ذلك الشيء، وقد وظِف هذا العامل في المقامة المضيرية لهذه الغاية، ففي حديث التاجر البغدادي عن الباب وجودته يوظف هذا العامل؛ كي يحدد وجهة الملفوظ بقوله: "وَهُوَ واللهِ رَجُلٌ نَظِيفُ الأَثْوَابِ، بَصِيرٌ بِصَنْعِةِ الأَبْوَابِ خَفِيفُ اليَدِ فِي العَمَلِ، للهِ دَرُّ ذَلِكَ الرَّجُلِ! بِحَيَاتِي لا اسْتَعَنْتَ إلا بِهِ عَلى مِثْلِهِ"[96]، على هذا النحو يقصر التاجر جودة صنع الأبواب على هذا الصانع، وقد قصد بهذا القصر أن الباب الذي لديه لم يصنعه أي صانع إنه خبير بهذه الصنعة، ومن كانت صفته كذلك كانت أبوابه أغلى ثمنًا وأنفس من غيرها، ولا أدل على صحة ما ذهبنا إليه إلا معاودة استخدام هذا العامل من قبل التاجر مرات عديدة، ففي حديثه عن حَلَقِ الباب وعن الحصير يقول: "وَبِحَيَاتِي عَلَيْكَ لا اشْتَرَيْتَ الحَلَقَ إلاَّ مِنْهُ؛ فَلَيْسَ يَبِيعُ إلاَّ الأَعْلاَقَ"[97]، "فَهُوَ عَظِيمُ القَدْرِ، لا يَقَعُ مِثْلُهُ إلاَّ فِي النَّدْرِ، وَإِنْ كُنْتَ سَمِعْتَ بِأَبِي عِمْرَانَ الحَصِيرِيّ فَهُوَ عَمَلُهُ، وَلَهُ ابْنٌ يَخْلُفُهُ الآنَ فِي حَانُوتِهِ لاَ يُوْجَدُ اعْلاَقُ الحُصُرِ إلاَّ عِنْدَهُ؛ فَبِحَيَاتِي لاَ اشْتَرَيْتَ الحُصُرَ إلا مِنْ دُكَّانِهِ"[98].

وقد تجاوز التاجر في استخدام العامل الحجاجي(لا...إلا) حدوداً أخرى فهو لا يقصر الصفة على الموصوف فحسب بل يدعو أبا الفتح إلى الاستعانة به على مثله، وهذا واضح في قوله، وقد ربط جودة الصنع بطلب الاستعانة أو الشراء؛ لأنه حصر أبا الفتح في شرائه واستعانته على ما خصهم بالمدح، ويبلغ الأمر مداه حين يطلب التاجر من غلامه بأن يحضر الإبريق فيأخذه بين يديه ويثني عليه بقوله: "لاَ يَصْلُحُ هَذا الإِبْرِيقُ إلاَّ لِهَذا الطَّسْتَ، وَلاَ يَصْلِحُ هَذا الطَّسْتَ إلاَّ مَعَ هَذَا الدَّسْتِ، وَلاَ يَحْسُنُ هَذا الدَّسْتُ إلاَّ فِي هَذا البَيْتِ، وَلاَ يَجْمُلُ هذَا البَيْتُ إلاَ مَعَ هَذا الضَّيْفِ"[99]، إن توظيف العامل الحجاجي على هذا النحو يؤكد الغاية التي ذهب إليها التاجر في قوله إنه صاحب متاع نفيس ولا يصلح بعض هذا المتاع إلا مع بعضه، وبعبارة أخرى فإنه كل متكامل لا يصلح أن ينتقص من هذه الصورة شيء، إنه يبحث عن التميز والتفرد في متاعه فكل ما لديه نفيس، ويبلغ حديث التاجر مداه في نهاية كلامه حين يقول: "وَلاَ يَجْمُلُ هذَا البَيْتُ إلاَ مَعَ هَذا الضَّيْفِ"، وهذه الغاية التي أراد التاجر أن يصل إليها جعلها خاتمة كلامه، فهو يقدم لضيفه كل نفيس، وكأن هذه هي غاية الكرم عنده، وكأن ما فعله التاجر في حياته من استبداد واستغلال لحاجات الناس كانت كلها لأجل ضيف بمكانة الإسكندريّ.

إن توظيف الروابط والعوامل الحجاجية في المقامة المضيرية على هذا النحو تصب في مصلحة البنية الحكائية للمقامة، وقد وظفها بديع الزمان أحسن توظيف على لسان الشخصيات الواردة فيها بغية اقناع المتلقي في ما يقدم له، فكانت جميعها تنسجم مع الشخصية، والغاية، والهدف التي أراد الهمذاني الوصول إليها، وقد جعل الروابط الحجاجية التساوقية تدعم الحجج الواردة على

(95) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص126).
(96) المصدر نفسه، ص122.
(97) المصدر نفسه، ص122.
(98) المصدر نفسه، ص127-128.
(99) المصدر نفسه، ص130.

لسان التاجر، كما جعل العوامل الحجاجية تؤكد الصورة التي أراد بديع الزمان أن يرسم حدودها بإتقان للمتلقي، وإن وفرة هذه الروابط والعوامل في المقامة لدليل واضح على ما ذهبنا إليه.

❖ **سلطة الشاهد**

أتحدث هنا عن سلطة الشاهد، وأثرها في بنية المقامة، وتوجيهها توجيهاً يتناسب مع تلك السلطة، وبما أن المقامة نص حكائي، يسعى المؤلف من وراءه إلى إحداث التأثير وإقناع الآخر بما يقدم له، وهذا النص المقامي يهدف إلى تحقيق المتعة والمنفعة للقارئ، ولا ننسى أن الغاية من وراء وضع المقامات بيان حيل المكدين بأسلوب أدبي يروق القارئ، ويبعث فيه النشاط في مواصلة القراءة، ولا بد لهذه النصوص من سلطة تضمن التأثير على القارئ، من خلال عناصر التأثير المسماة بسلطة الشاهد، وهي بنيات نصية يوظفها المبدع قصد التأثير على المتلقي، وهي قوالب جاهزة لم يبتدعها أي أنها صناعية كما قال أرسطو، فالتصديقات بعضها صناعية وبعضها غير صناعية، وأقصد بالأولى تلك التي لم نأت نحن بها بل كانت موجودة من قبل، مثل: الشهود والتعذيب والعقود وما أشبهها، وأقصد بالثانية ما يمكن إعداده بالحيلة وبمجهودات [100].

سلطة الشاهد في المقامة المضيرية كثيرة ومتنوعة ومتداخلة، فهي موزعة ما بين قرآن وحديث نبوي، ومثل، وشعر، وتتضافر هذه السلطات وتتداخل؛ كي تشكل الأداة الأمثل للتأثير على المتلقي، سأعرض للسلطات الأربع وأبيّن دورها في توجيه المقامة وأثرها على المتلقي أو الشخصيات الأخرى الواردة فيها، وإن كان الأصل في بنية المقامة أن تأتي جميع هذه السلطات متلاحقة متضافرة؛ كي تؤدي الغرض الذي يسعى إليه واضع المقامة. إن الهمذاني في مقامته يسعى إلى إقناع الآخر بما يقدِم له، "فلا وجود لخطاب بريء يؤسسه صاحبه لغاية تأسيسه لا يروم عبره غاية تتجاوزه ولا ينشد به الفعل في متلق يخاطبه"[101].

أ. **سلطة الشاهد الديني**

أجد أولى هذه الشواهد حين عرض التاجر على أبي الفتح دعوته إلى تناول المضيرة، فوظف أبو الفتح إصرار التاجر بقوله: "لَزِمَنِي مُلاَزَمَةَ الغَرِيمِ، وَالكَلْبِ لأَصْحَابِ الرَّقِيمِ، إِلَى أَنْ أَجَبْتُهُ إِلَيْهَا"[102]. وتبدوا البنيات النصية التي اتكأ عليها أبو الفتح في خطابه مستندة إلى الجانب الديني، فإن تلبية دعوة المرء المسلم لأخيه المسلم مستحبة في المجتمع الإسلامي [103]، وقد استحضر في خطابه الحديث النبوي الخاص بالغارمين وكيف يلازم صاحب الدَين المدين [104]، كما وظف قصة أصحاب الكهف وملازمة الكلب لهم، إن هذه الملازمة التي حاول أبو الفتح التأثير على المتلقي بها تنبثق من ذلك التصوير الدقيق لفعل الملازمة. إن عدد الفتية مجهول لدى السامع لكن صورة الكلب واضحة في كل عدد [105]، كما نجد في استخدام الحديث النبوي والقرآن الكريم من قبل أبي الفتح مفارقة بين قوله وفعله أراد صرف نظر المتلقي عنها، فلو كان صاحب دين لأجاب التاجر دون أن يسرف عليه

(100) انظر: أرسطو، الخطابة (ص29).

(101) الدريدي، الحجاج في الشعر العربي من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة: بنيته وأساليبه (ص67-68).

(102) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص117).

(103) "عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت ولو أهدي إلى ذراع أو كراع لقبلت) " البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا / باب القليل من الهبة، 153/3: 2568.

(104) "عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ مُلَازِمٌ رَجُلًا فَقَالَ: " مَا هَذَا؟ "، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، غَرِيمٌ لِي وَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ يَأْخُذَ النِّصْفَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَعَمْ، قَالَ: فَأَخَذَ الشَّطْرَ وَتَرَكَ الشَّطْرَ" الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند القائل/ حديث كعب بن مالك، 147/45: 27172.

(105) ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 22].

بالإلحاح لقبول دعوته، فما كان عليه إلا أن يجيب دعوة التاجر، لكنه باستحضاره لهذين الشاهدين صرف ذهن المتلقي إلى بعدٍ آخر دفع فيه التهمة عن نفسه، وقدم بين يدي القارئ والجمع الذي يستمع لحكايته عذراً في قبول دعوة التاجر.

سعى واضع المقامة إلى التأثير على المتلقي وذلك بإيراد الشواهد الحجاجية بإشارة واضحة أو بإشارة لطيفة، ومن تلك الإشارات اللطيفة التي يصل إليها القارئ الخبير وصاحب الذوق الرفيع ما كان من توظيف لآيات القرآن الكريم في قصة التاجر، وحصوله على البيت من خَلَفِ أبي سليمان، فقد مات الأب وورث الابن الدار والمال، فأشار التاجر إلى هذا بقوله: "مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ وَخَلَّفَ خَلْفاً أَتْلَفَهُ بَيْنَ الخَمْرِ وَالزَّمْرِ، وَمَزَّقَهُ بَيْنَ النَّرْدِ وَالقَمْرِ"[106]، وهي إشارة لطيفة للآية: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[مريم: 59]، إنه بتعليله هذا يجد مسوغًا لفعله مع صاحب الدار واغراقه له بالدين حتى أثقله وكتب له وثيقة بأصل المال.

وقد أورد إشارة أخرى تصور حاله وحال صاحب الدار حين خاف أن يفرّط صاحب الدار بداره ويفوته شِرَاهَا، فصور هذه العلاقة بينه وبين الشاب الغارق في ملذاته بقوله: "وَأَشْفَقْتُ أَنْ يَسُوقُه قَائِدُ الاضْطِرَارِ، إِلَى بَيْعِ الدَّارِ، فَيَبِيعَهَا فِي أَثْنَاءِ الضَّجَرِ، أَوْ يَجْعَلَهَا عُرْضَةً لِلْخَطَرِ، ثُمَّ أَرَاها، وَقَدْ فَاتَنِي شِرَاهَا، فَأَتَقَطَّعُ عَلَيْهَا حَسَرَاتٍ، إِلَى يَوْمِ المَماتِ"[107]، وهذا القول فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[فاطر :8].

عاد التاجر فوظف القرآن الكريم في قصته مع المرأة التي طرقت عليه الباب ومعها عقد لآلئ تريد أن تبيعه، فاستغل حاجتها واشتراه بثمن بخس فقال: "فَإِذَا امْرَأَةٌ مَعَهَا عِقْدُ لآلٍ، فِي جِلْدَةِ مَاءٍ وَرِقَّةِ آلٍ، تَعْرِضُهُ لِلْبَيْعِ، فَأَخَذْتُهُ مِنْهَا إِخْذَةَ خَلْسٍ، وَاشْتَرَيْتُهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ"[108]، وهذا القول يصور العلاقة المبنية على الحاجة بين البائع والمشتري، وهي من قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف:20]. بنى الهمذاني المقامة بناءً حجاجيًا ووظف القرآن الكريم؛ كي يؤثر على المتلقي وذلك لأمرين: "الأول لكونه كتاباً دينياً شرع للمسلمين أحكام دينهم، والثاني بوصفه أثراً أدبياً أعجز الفصحاء بروعة بيانه وبلاغة نظمه"[109].

ب. سلطة المثل

ينتقل الهمذاني إلى توظيف المثل؛ كي يكون دعامة للبنية الحجاجية في مقامته، وذلك لما يمتلكه من طاقة تؤثر على المتلقي، فالمثل تجربة إنسانية يستطيع المخاطب نقلها إلى المتلقي فيكشف له ما لم يدركه "فيصور المعدوم بصورة الموجود والغائب بصورة المشاهد الحاضر، فيستعين العقل على إدراك ذلك بالحواس"[110]، فيقع المثل موقعا حسنا في نفس المتلقي، ويكون مؤثرا في عملية الإقناع وقد قيل "المثل هو الحجة"[111]. إن طريقة سبك المثل تبين لنا أهميته من حيث علاقته بالرسالة المراد تبليغها، ومن حيث الإيجاز، والتشبيه، وجودة المعنى، والكناية، فهو نص مختصر يحمل طاقات حجاجية وبلاغية كبيرة يتلقاها الآخر بسهولة ويسر؛ لأن المقام الذي وجد فيه المثل مطابق أو مقارب لذات المقال الذي استخدم فيه[112]، فإذا وجد المثل في نص خطابي فإنه يزيده إشراقا وقوة، وكان أوسع لشعوب الحديث، ففي قصة التاجر مع صاحب الدار نجد المثل حاضرًا يمثل تلك العلاقة حيث يسعى التاجر لإغراق صاحب الدار بالدين؛ كي يحصل على بيته، فيقول: "ثُمَّ دَرَّجْتُهُ بِالمُعَامَلاتِ إِلَى بَيْعِهَا حَتَّى

(106) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص122).
(107) المصدر نفسه، ص122.
(108) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص125-126).
(109) النص، الخطابة العربية في العصر الذهبي (ص201).
(110) اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم (ج31/1).
(111) المصدر نفسه، ص20.
(112) انظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج2/3).

حَصَلَتْ لِي بِجَدٍّ صَاعِدٍ، وَبَخْتٍ مُسَاعِدٍ، وَقُوَّةِ سَاعِدٍ، وَرُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ"[113]، من الملاحظ في هذا القول أن المثل جاء دون تكلف من التاجر، وقد جاء موافق للسجعات الواردة في القول، فقد جعل بنية المثل تنسجم مع بنية المقامة، وهذا الأمر يجعل المتلقي في حالة نفسية متقبلة لنوع الخطاب المقدم لها، فلم يحتج التاجر إلى التنويه على أن هذا الجزء المستخدم هو مثل.

لما كان التاجر صاحب "جَدٍّ صَاعِدٍ، وَبَخْتٍ مُسَاعِدٍ" وظف المثل في موضع آخر؛ كي يؤكد على هذا الأمر، فالسعي لا يكون من قبل التاجر وحسب بل إن الدهر يساعده في الحصول على ما يرغب، وذلك في قصته مع الحصير وكيف حصل عليه، يقول: "وَكُنْتُ أَطْلُبُ مِثْلَهُ مُنْذُ الزَّمَنِ الأَطْوَلِ فَلا أَجِدُ، وَالدَّهْرُ حُبْلَى لَيْسَ يُدْرَى مَا يَلِدُ"[114]، هكذا وظف التاجر المثل؛ كي يقنع أبا الفتح الإسكندريّ بكلامه فالمثل يعد "دعامة كبرى من دعائم الخطابة لما يحققه من اقتناع وتأثير"[115].

ج. سلطة الشعر

ينتقل بديع الزمان إلى توظيف شطر من بيت لعمرو بن براق كمثل على لسان أبي الفتح الإسكندريّ، وذلك في نهاية المقامة بعد فراره من التاجر البغدادي. واعراضه عن المضيرة التي دعي إليها مع عيسى بن هشام، يقول: "فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يا لهمذان ظَالِمُ؟"[116]، وقد جاء بهذا الشطر؛ كي يمهد لما كان منه من إعراض عن الخوان، وسباب لطابخ المضيرة وصاحبها، وإن بيت عمرو بن براق هو:

وكنـــــتُ إذا قـــــومٌ غَزونـــــي غـــــزَوْتُهم فهـــل أنـــا فـــي ذا يـــا لهمـــذان ظـــالم [117]

إن أبا الفتح الإسكندريّ جاء بعجز البيت وسكت عن صدره؛ لأن صدر البيت يكشف قصد الإسكندريّ، حيث رأى في دعوة التاجر الذي ذهب إليه مع عيسى بن هشام فرصة للرد على التاجر البغدادي الذي دعاه إلى المضيرة، فكلاهما تاجر، وكلاهما اشتملت دعوته على المضيرة، فكان موقف الإسكندريّ من التجّار وطعامهم يتجسد في المسكوت عنه، وقد جعل عجز البيت إشارة خفية إلى قصده، وبهذا يكون الحجاج المتضمن في بنية الشاهد الشعري يساهم في البنية العامة للمقامة، خاصة إذا استحضرنا قول عيسى بن هشام في مطلع المقامة عن قدرة أبي الفتح اللغوية، حيث قال عنه: "رَجُلُ الفَصَاحَةِ يَدْعُوهَا فَتُجِيبُهُ، وَالبَلاغَةِ يَأْمُرُهَا فَتُطِيعُهُ"[118].

إن الإسكندريّ بتوظيفه للشاهد الشعري يدفع عن نفسه لوم أصحابه، بل إنه يطالبهم بمشاركته ذلك الشعور تجاه التجار والمضيرة، وذلك واضح في قول عيسى بن هشام والجمع الذي استمع لحكايته في نهاية المقامة، حيث يقول ابن هشام: "فَقَبِلْنَا عُذْرَهُ، وَنَذَرْنَا نَذْرَهُ"[119]. يرى أوسن أن فعل التلفظ يشتمل على أكثر من لون في النشاط العام: "كالوعد والإبلاغ، والأمر والتهديد، والتحذير.. الخ. ومع ذلك فإن ما هو جوهري أن هذا الفعل ينطوي على قوة كامنة أو طاقة تلفظية، ويستدعي استجابة ملائمة من جانب المتلقي... فإن هذا الأخير يستوعب طاقة الفعل الكلامي، ويستوعب – من ثم – معناه، عن طريق سياق المقام"[120]، وهذا

(113) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص124–125). "ويروى معه "وآكِلٍ غير حامد" يقال: إن أول من قاله النابغة الذبياني، وكان وفَدَ إلى النعمان بن المنذر وفودٌ من العرب فيهم رجل من بني عَبْس يقال له شقيق، فمات عنده، فلما حبا النعمانُ الوفودَ بعث إلى أهل شقيق بمثل حِباء الوَفْد، فقال النابغة حين بلغهُ ذلك: ربَّ ساعٍ لقاعد": الميداني، مجمع الأمثال(ج1/299).

(114) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص126–127). "والمعنى أنَّ الدهر، لا نبهام الأقدار الجارية فيه، وخفاء التصاريف الواقعة بذويه، شبيه الحلبي المنبهم أمر ذي بطنها، لا تعرف له ذكروة ولا أنوثة، ولا كمال ولا نقص، ولا حسن ولا قبح، حتى تلد فيتبين ذلك. وكذا الدهر لا يعرف فيما يأتي به من الأقدار والحوادث، أخير أم شر، وزيادة أم نقص، وسعة أم ضيق، حتى يقع ذلك فيظهر." اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم (ج2/244).

(115) العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي (ص85).

(116) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص137).

(117) الأصفهاني، الأغاني (ج 183/10).

(118) الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني (ص114).

(119) المصدر نفسه، ص137.

(120) هولب، نظرية التلقي مقدمة نقدية (ص138).

ما أراده الإسكندريّ من أصحابه، إنه يوظف الطاقة الحجاجية للأفعال الكلامية من خلال الشاهد الشعري مدركًا أثره في نفس الآخر، حيث يحدث استجابة تكون بمثابة العزاء لما أصابه.

❖ **الخاتمة**

يعد النقد الأدبي نوعًا خاصًا من عمليات التواصل بين النص والناقد، ويترتب على هذا التواصل سلسلة من الإجراءات التفاعلية بينهما، تقود إلى تصورات، وتوقعات، ونتائج علمية. والقراءة النقدية الجادة، وإن كانت تنطلق من بنية النص الأدبي إلا أنها تتجاوزه إلى عوالم أخرى، وأبعاد متعددة، تساهم في فهم النص، وتكوين صورة عن ماهية ذلك العمل ضمن عصر ثقافي امتاز بهوية خاصة رُسِمت أبعاد ثقافته من خلال ذلك النص. وقد ساهمت هذه الدراسة في استجلاء البنى النصية الفاعلة في المقامة المضيرية وفق قراءة علمية ممنهجة تقود إلى نتائج علمية واضحة، وذلك من خلال قراءة نقدية تداولية حجاجية لبنية المقامة، والأفعال الكلامية الواردة على ألسن الشخصيات، وما يترتب عليها من أفعال أو أقوال تشكل السلسلة الكلية لعملية التواصل بين الشخصيات الواردة فيها من جهة وبين الناقد والمتلقي من جهة أخرى.

وكان الهدف وراء هذه القراءة النقدية تسليط الضوء على تراثنا الأدبي العربي الأصيل وأهميته في حياتنا المعاصرة في ظل خروج بعض المشككين في أصالة ذلك التراث، وصلاحية قراءته وفق النظريات النقدية الحديثة، وذلك لبعد الشقة بيننا وبين العصر الذي كانت فيه، وقد نسج الهمذاني مقامته وضمنها جميع آليات التداول الحجاجي، كما ورد عند المنظرين في العصر الحديث، وقد كشفت هذه الدراسة عن تلك البنيات النصية، وطبيعة عملها في المقامة، والأثر المترتب عليها في بنية الحدث الخاص بها، ولا تزال المقامات الهمذانية بحاجة إلى العديد من القراءات النقدية الجادة؛ بغية الكشف عن أهميتها في تشكيل وعينا الثقافي، وعلاقتنا بتراثنا العربي، وأن البعد الزمني الفاصل بين زماننا وزمن المقامات لا يزيد تلك الأعمال إلا ألق نتطلع إليه بشغف وإعجاب لتلك الأعمال الخالدة.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

القرآن الكريم.

إبلاغ، محمد بن عبد الجليل. (2002). *شعرية النص النثري مقاربة نقدية تحليلية لمقامات الحريري*، ط1، المغرب: الدار البيضاء.

أرسطو، (1979). *الخطابة*. تحقيق: عبد الرحمن بدوي. الكويت: وكالة المطبوعات. بيروت: دار القلم.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم. (1415هـ). *الأغاني*، ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أعراب. حبيب. (2001). الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري. *مجلة عالم الفكر*. 30 (1). 97- 138.

آيزر، فولفغانغ. (1987). *فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب*. ترجمة حميد الحمداني والجلالي الكدية. المغرب- فاس: مكتبة المناهل.

باتريك ودومينيك، شارودو ومانغونو. (2008م). معجم *تحليل الخطاب*، (ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود)، (د. ط)، تونس: دار سيتارا.

البخاري، حمد بن إسماعيل أبو عبد الله. (1422هـ). *صحيح البخاري*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. بيروت: دار طوق النجاة.

بوخشة، خديجة(2010م). الروابط الحجاجية في شعر أبي الطيب المتنبي (مقاربة تداولية). رسالة ماجستير غير منشورة. الجزائر: جامعة وهران.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل. (1403هـ-1983م). *يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر*. (تحقيق د. مفيد محمد قمحية). ط1. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.

الجرجاني، عبد القاهر. (1991م). *دلائل الإعجاز في علم المعاني*. تحقيق محمود محمد شاكر. ط1. القاهرة: مطبعة المدني.

الحباشة، صابر. (2008). *التداولية والحجاج*. دمشق: صفحات للدراسات والنشر.

حمداوي، جميل. (1971). السيميوطيقا والعنونة. *مجلة عالم الفكر*. المجلد 25.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. (1993م). *معجم الأدباء*. (تحقيق إحسان عباس). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الدريدي، سامية. (2008). *الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه*. ط1. الأردن-إربد: عالم الكتب الحديث.

دوجلاس، فدوى مالطي. (د. ت). *ابناء النص التراثي*. بغداد: دار الشؤون الثقافية.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. (1967م). *مختار الصحاح*. ط1. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. بيروت: المكتبة العصرية – الدار النموذجية.

الرقبي، رضوان. (2011). الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله. *مجلة عالم الفكر*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. 40 (2). 102- 111.

الزركلي، خير الدين محمود بن محمود بن محمد الدمشقي. (1999م). *الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين*. ط3. بيروت: العلم للملايين.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي. (1987م). *مفتاح العلوم*. ط1. تحقيق: نعيم زرزور. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن سينا. (1966). *كتاب الشفاء*. تحقيق: عبد الرحمن بدوي. (د. ط). بيروت: دار الثقافة.

أبو شهبة، محمد بن محمد. (1983). *الوسيط في علوم ومصطلح الحديث*. ط1. جدة: عالم المعرفة.

الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (2004). *استراتيجيات الخطاب*. ط1. بنغازي- ليبيا: دار الكتاب المتحدة.

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد. (2001). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. ط1. تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد وآخرون. لبنان- بيروت مؤسسة الرسالة.

صولة، عبد الرحمن. الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتكيا. في: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية (محرر). *أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم*. منوبة-تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية.

صولة، عبد الله. (2001). *الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية*. ط1. بيروت: دار الفارابي.

طلحة، محمود. (2008). القيمة الحجاجية لأسلوب القصر في اللغة العربية. *مجلة الخطاب*. منشورات مختبر تحليل الخطاب. جامعة مولود معمري-تيزي وزو-. الجزائر: دار الأمل. مجلد 3. 104 – 126.

طلحة، محمود. (2014). التداولية وتحليل الخطاب: نحو تحليل جديد لجني المقامة في الأدب العربي. *التداولية وتحليل الخطاب (بحوث محكمة)*، ط1، الأردن- كنوز المعرفة.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. (1984). *التحرير والتنوير*. (د. ط). تونس: الدار التونسية.

عباس، حسن. (د.ت). *نشأة المقامة في الأدب العربي*. مصر: دار المعارف.

عبد الرحمن. طه. *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*. ط2. المغرب- الرباط: المركز الثقافي العربي.

عبد الرحمن، طه. (1998). *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي*. ط2. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
العبيدي، رشيد. (1954). *الأدب ومذاهب النقد فيه*. بغداد: مطبعة النقيد.
عدنان، سعيد. (1987)، *الاتجاهات الفلسفية*، ط1، بيروت: دار الرائد العربي.
العزاوي، أبو بكر. (2006). *اللغة والحجاج*. ط1. المغرب–الدار البيضاء: العمدة في الطبع.
العمري، محمد. (2002). *في بلاغة الخطاب الإقناعي*. ط2. الرباط: دار إفريقيا الشرق.
الغزالي، عبد الله محمد. (2000). البناء السردي في مقامات السيوطي. *المجلة العربية للعلوم الإنسانية*. الكويت: جامعة الكويت. عدد69.
فضل، صلاح. (1992). *بلاغة الخطاب وعلم النص*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري. *زهر الآداب وثمر الألباب*. (د. ط). بيروت: دار الجيل.
كاظم، نادر. (2003م). *المقامات والتلقي بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث*. ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
كيليطو، عبد الفتاح. (1997). *الغائب في مقامات الحريري*. ط2. المغرب: دار توبقال.
لشهب، محمد. الروابط الحجاجية في المقامة مقامة النحو للزمخشري نموذج. *التحليل الحجاجي للخطاب (بحوث محكمة)*. ط1 (اشراف وتقديم: أحمد قادم وسعيد العوادي). الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
ماضي، شكري عزيز. (1997). *من اشكاليات النقد العربي الجديد*. ط1. بيروت–لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
مقابلة، جمال محمد عودة. (2006). وعي النقد ونقد الوعي في المقامة الموصلية: "قراءة تداولية ثقافية ". *المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها*، 2(2). الأردن: جامعة مؤتة – عمادة البحث العلمي.
ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. (1997م). *لسان العرب*. ط15. بيروت: دار صادر.
موشلر، وريبول. (2010). *القاموس الموسوعي للتداولية*. ط2. (ترجمة المركز الوطني للترجمة). تونس: دار سيناترا.
مونرو، جيمس. (1995). *مقامات بديع الزمان الهمذاني وقصص البيكاريسك*. (ترجمة خليل أبو رحمة). الأردن: جامعة اليرموك.
الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري. *مجمع الأمثال*. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت: دار المعرفة.
الناجح، عز الدين. (2011). *العوامل الحجاجية في اللغة العربية*. ط1. تونس: مكتبة علاء الدين.
النص، إحسان. (1969). *الخطابة في عصرها الذهبي*. ط2. مصر: دار المعارف.
النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري. *نهاية الأرب في فنون الأدب*. ط1. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.
النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (د.ت). *صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
الهمذاني، أبي الفضل بديع الزمان. (1923م). *مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني*. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة–مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
أبو هنية، عمر، وشريدة، محمد علي. (2018). حجاجية السرد في مقامات الحريري، *مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية*، مجلد 26(2). غزة–فلسطين.
هولب، روبرت. (2000). *نظرية التلقي مقدمة نقدية*. ترجمة عز الدين اسماعيل، ط1. القاهرة–مصر: المكتبة الأكاديمية.
ابن وهب، إسحاق. *البرهان في وجوه البيان*. تحقيق: حفني محمد شريف. (د. ط). مصر: مكتبة الشباب–مطبعة الرسالة.

ياوس، هانس روبرت. (2014). *نحو جمالية للتلقي تاريخ الأدب تحدّ لنظرية الأدب*. ترجمة د. محمد مساعدي. ط1. بيروت– لبنان: النايا للدراسات والنشر.

ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي الموصلي. (2001م). *شرح المفصل للزمخشري*. تحقيق: إميل بديع يعقوب. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد (1981 م). *زهر الأكم في الأمثال والحكم*. تحقيق: د. محمد حجي ود. محمد الأخضر. الدار البيضاء – المغرب: الشركة الجديدة – دار الثقافة.

قائمة المراجع المرومنة:

Abbas, H. *The rise of the maqamat in Arabic literature* (In Arabic). Egypt: Dar Al Maaref.

Abdulrahman, T. (1998). *Tongue and scales or mental reproduction* (In Arabic). L2. Casablanca: The Arab Cultural Center.

Abdulrahman, T. *In the origins of dialogue and renewal of theology* (In Arabic). L2. Morocco - Rabat: The Arab Cultural Center.

Abu Haniyeh &Sherida, O. & M. (2018). *Argumentative Narration in Maqamat Al-Hareeri, Journal of the Islamic University for Human Studies* (In Arabic). Volume 26 (2). Gaza, Palestine.

Abu Shahba, M. (1983). *Mediator in the sciences and terminology of hadith*(In Arabic). L1. Jeddah: AlamAlmaerifa (The World of Knowledge).

Adnan, S. (1987). *Philosophical Trends* (In Arabic). 1st Edition. Beirut: Dar Al-Raed Al-Arabi.

Aerab. H. (2001). Argumentation and Argumentative reasoning, elements of theoretical inquiry (In Arabic). *AlamElfikr Magazine*. 30 (1). 97- 138.

Al'asfhani, A. (1415 Hijri). *al-Aghānī*. (In Arabic. Beirut: House of Revival of Arab Heritage.

Al-Azzawi, A. (2006). *Language and* Argumentation (In Arabic) L1. Morocco-Casablanca: The Umdah (Mayor) in print.Al-Omari, M. (2002). *In the rhetoric of persuasive speech*. (In Arabic). L2. Rabat: House of Africa of the East.

Albikharia, H. (1422 Hijri). *Sahih Bukhari* (In Arabic). Investigation by: Muhammad Zuhair Bin Nasser Al-Nasser .Beirut: Dar Touq Al Najat.

Aldaridii, S. (2008). *Argumentation in ancient Arabic poetry from the pre-Islamic era to the second century of migration, its structure and methods* (In Arabic). Jordan- Irbid: AlamAlkutobAlhadeeth (Modern Book World).

Al-Ghazali, A. (2000). *Narrative Construction in Maqamat al-Suyuti* (In Arabic). Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters.

Alhabaasha, S. (2008). *Deliberative and Argumentation* (In Arabic). Damascus: Pages for Studies and Publishing.

Al-Hamdhani, A. (1923): *The shrines of Abi al-Fadl Badi al-Zaman al-Hamdhani* (In Arabic). Investigated by Muhammad Muhi al-Din Abd al-Hamid. Cairo-Egypt: The Egyptian General Book Authority.

Alhamwiu, S. (1993) *A Dictionary of Authors* (In Arabic). (Edited by Ihssan Abbas). Beirut: Dar algharbal'iislami.

Aljurjani, A. (1991). *Evidence of miracles in the science of semantics*. Mahmoud Mohamed Shaker investigation (In Arabic). Cairo: Al-Madani Press.

Al-Midani, A. *The Proverbs Complex* (In Arabic). Achieved by Mohammed Mohiuddin Abdul Hamid. Beirut: House of Knowledge.

AL-Naajih, E. (2011). *Argumentative factors in the Arabic language* (In Arabic). L1. Tunisia: Aladdin Library.
Al-Nisaburi, M. *Sahih Muslim* (In Arabic). Investigated by Mohamed Fouad Abdel-Baqi. Beirut: House of Revival of Arab Heritage.
Al-Nus, I. (1969). *Speech in its Golden Age* (In Arabic). L2. Egypt: Dar Al Maaref.
Al-Nuwairi, A. *The end of arousal in the arts of literature* (In Arabic). L1. Cairo: National Library and Archives.
Al-Obeidi, R. (1954). *Literature and doctrines of criticism in it* (In Arabic). Baghdad: Al Naqid Press.
Al-Qayrawani, I. *Blossom of etiquette and fruit of hearts. (zaharaladabwathamaral'albab)* (In Arabic). Beirut: Dar Al-Jeel.
Al-Raqbi, R. (2011). *Argumentative inference and the mechanisms of its operation* (In Arabic). AlamElfikr Magazine (In Arabic). Kuwait: The National Council for Culture, Arts and Literature. 40 (2). 102- 111.
Alrrazi, Z. (1967). *Mukhtar As-Sahah* (In Arabic). L1. Investigated by: Yusef Al-Sheikh Muhammad. Beirut: Modern Library - Model House.
Al-Sakaky, Y. (1987). *miftahaleulum (The key to science)* (In Arabic). L1. Investigated by: NaimZarzour. Beirut: daralkutubaleilmiat. (House of Scientific Books).
Al-Shaibani, A. (2001). *Musnad of Imam Ahmed bin Hanbal*(In Arabic). L1. Investigated by Shuaib Al-Arnaout - Adel Morshed and others. Lebanon – Beirut (muasasatalrisala) The Message Foundation.
Al-Shehri, A. (2004). *Discourse strategies* (In Arabic). L1. Benghazi - Libya: Dar AlkitabAlmutahida (United Book House).
Althaealibi, A. (1403 Hijri-1983). *Orphan age in the advantages of the people of the times*. (Edited by Dr. Moufid Muhammad Qamhieh) (In Arabic). Beirut-Lebanon: daralkutubaleilmiat. (House of Scientific Books.)
Al-Yusi, A. (1981).*Zahr Al-Akam in Proverbs and Governance* (In Arabic). Investigated by: Dr. Muhammad Hajji and Dr. Muhammad Al-Akhdar. Casablanca - Morocco: The new company - Dar Al Thaqafa.
Al-Zarkali, K. (1999). *Al-Alam, a dictionary of translations of the most famous men and women from Arabs, Arabists and Orientalists* (In Arabic) L3. Beirut: aleilmlilmalayin (Science for Millions.).
Aristotle, (1979). *Public speaking (Oratory)* (In Arabic). Investigation by: Abdul Rahman Badawi. Kuwait: Publications Agency. Beirut: Dar Al-Qalam.
Bukhsht, K. (2010). Hijaji links in the poetry of Abu Al-Tayeb Al-Mutanabi (a deliberative approach). A magister message that is not published (In Arabic). Algeria: University of Oran.
Dujalas, F. *Sons of the heritage text* (In Arabic). Baghdad: daralshuwuwnalthaqafia (Cultural Affairs House).
Fadl, Salah. (1992). Rhetoric and science of the text. (In Arabic). AlamAlmaerifa. Volume 164, Kuwait.
Hamdawy, J. (1971). Semiotics and addressing (In Arabic). *AlamElfikr Magazine*. Vol 25
Holy Quran
Hulpe, R. (2000). *Receipt theory a critical introduction*. Translated by Izz al-Din Ismail, L1. Cairo-Egypt: Academic Library.
Iblāgh, M. (2002). *Poetics of the Prose Text: A critical and analytical approach to the Maqamat of Hariri* (In Arabic). Casablanca, Morocco.
Ibn Ashour, M. (1984). *Editing and Enlightenment* (In arabic). Tunisia: The Tunisian House.
Ibn Manzoor, M. (1997). *Lissan Al-Arab* (In Arabic). Arabes Tong. L15. Beirut: Dar Sader.
Ibn Sina (Avicenna). (1966). *kitab alshfa'* (The Book of Healing) (In Arabic). nvestigationby: Abd al-Rahman Badawi (d. I). Beirut: daralthaqafa (House of Culture).

Ibn Wahb, I. *The proof is in the faces of the statement* (In Arabic). Investigated by: Hefni Mohamed Sharif. Egypt: Youth Library - Al-Risalah Press.

Ibn Yaish, M. (2001). *Detailed explanation by Al-Zamakhshari* (In Arabic). Investigated by Emil Badi Yaacoub. Beirut: The Scientific Books House.

Interview, J. (2006). Criticism Awareness and Awareness Criticism in the Mosul Maqamat: "Intercultural Reading of Culture" (In Arabic). *Jordanian Journal of Arabic Language and Literature*, 2 (2) Jordan: University of Mu'tah - Deanship of Scientific Research.

Iser, W. (1987). *The act of reading aesthetic response theory in literature. Translated by Hamid Al-Hamdani and Jalali Al-Kiddiya* (In Arabic). Morocco - Fez: Al-Manahil Library.

Jauss, H. (2014). T*owards an aesthetic of receiving the 'Literary History as A Challenge to Literary Theory*. Translation of Dr. Mohamed my assistant. L1. Beirut-Lebanon: Naya Studies and Publishing.

Kazem, N. (2003). *Maqamat and Receptions. An examination of the modes of reception of the maqamat al-Hamadhani in modern Arab criticism* (In Arabic). L1. Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing

Kilito, A. (1997). *Absent in the Makamat Al-Hariri* (In Arabic) L2. Morocco: Dar Toubkal.

Lishahb, M. links in Al-Maqama, Muqamat al-Zamakhshari model. *Argumentative analysis of the discourse (refereed research)* (In Arabic). L1 (supervised and presented by: Ahmad Qadim and Saeed Al-Awadi). Jordan: (darkunuzalmaerifa) House of Treasures of Knowledge for Publication and Distribution.

Madi, S. (1997). *One of the problems of the new Arab criticism* (In Arabic) L1. Beirut-Lebanon: The Arab Foundation for Studies and Publishing.

Mochler, R. (2010). *Encyclopedic dictionary of deliberative* (In Arabic). L2. (Translated by the National Center for Translation). Tunisia: Sinatra House.

Monroe, J. (1995). *Maqamat Badi 'al-Zaman al-Hamdani and the stories of the picaresque* (In Arabic). (Translated by Khalil Abu Rahma). Jordan: Yarmouk University.

Patrick & Dominic, S. &M. (2008). *Dictionary of Discourse Analysis* (In Arabic). (translated by Abdul Qadir Al Muhairi and Hammadi Samoud). Tunisia: Dar Seitara.

Soula, A. (2001). *Argumentation in the Qur'an by its stylistic characteristics* (In Arabic). L1. Beirut: Dar Alfarabi.

Soula, A. Argumentative frameworks and perspectives through the compilation of Argumentation the New Rhetoric of Perlmanutetica (In Arabic). University of Letters, Arts and Human Sciences (Editor). *The most important theories of Argumentation in the Western tradition from Aristotle to today* (In Arabic). Manouba - Tunisia: University of Letters, Arts and Human Sciences.

Talha, M. (2008). Argumentative value of the palace style in the Arabic language (In Arabic). *Al-Khattab Magazine*. Al-Khattab Analysis Laboratory Publications. MouloudMamry University - TiziOuzou -. Algeria: Dar Al-Amal. Volume 3. 104--126.

Talha, M. (2014). Deliberatives and oratory Analysis: Towards a New Analysis to Reap the Status in Arabic Literature (In Arabic). *Pending and oratory Analysis (Refereed Research).* 1st Edition, Jordan - Treasures of Knowledge.